روايات أحلام

روزالي مور

امرأة تحت الصّفر

www.elromancia.com
مرمورية

www.elmoulia.com

امرأة تحت الصفر ـ روزالي مور

كانت سامنتا أمام خيارين: إما البقاء في بيتها مع زوجة أبيها أو العمل مدبرة منزل عند السيد دايفد غاريت الثري الشهير، مكان صديقة لها أقعدها المرض أشهراً.

لكن السيد دايفد يرفض أن تكون مدبرة منزله شابة صغيرة، لذا لم يكن أمام سامنتا إلا التنكر بزي امرأة في العقد الثالث من عمرها.

ولكن هل يمكن للتنكر إخفاء مشاعرها تجاه مخدومها الحاد اللسان أو أن يحجب كراهية كارول، تلك المرأة الساعية إلى إيقاع الثري الشهير في حبائلها؟

السعر ١٥٠٠ ل.ل.

١ ـ الأم الجديدة

أخرجت سامنتا ويسلر رسالة أبيها معها إلى الحديقة وأراحت نفسها على كرسي خشبي تحت ظل شجرة كستناء، ثم أخرجت الأوراق الرقيقة المسطرة بخط والدها المألوف لها.

لم يكن من عادة والدها أن يكتب رسائل طويلة كهذه وتوقعت أن تكون رحلة النقاهة قد أفادته. وما من شك أن رسالته هذه مليئة بالتعليمات عن البحث الذي يريدها أن تقوم به قبل أن يبدأ بكتابة التحفة الأدبية الثانية.. «تقاليد بريطانيا القديمة»... وأحنت رأسها، ثم شرعت في القراءة.

تسلل نور الشمس من خلال أغصان الدالية الممتدة فوقها جاعلاً شعرها البني بلون العسل القاتم، معطياً لوناً ذهبياً لبشرتها العاجية أما وجهها ففيه حدة غالباً ما نراها في وجه طفل، حدّة زادها ارتفاع جبهتها واستدارة ذقنها.

ولو أن أحدهم قال لسامنتا إنها جميلة لا نفجرت ضاحكة. فبعد إعجابها الشديد بالعارضات اللاتي تظهر صورهن في مجلات الأزياء، لم تعد معجبة كثيراً بثنايا جسدها المثير ولا بحيويتها المتدفقة التي هي جزء من شخصيتها. وما إن طوت الرسالة وأعادتها إلى غلافها حتى تلاشت منها حيويتها تلك، إذ كاد الغضب

يبلغ ذروته والأسى يكسح قلبها.

لقد تزوج والدها ثانية. أمر لا يصدق، ولكنه حقيقة؛ فقد قال لها في الصفحات التي قرأتها لتوها:

«أعلم أن هذا الخبر سيفاجئك. ولكن عندما تقابلين مادلين ستفهمين سبب زواجي إذ إنها امرأة رائعة، ذات عقل راجح» توفي زوجها منذ سنوات. مثله تماماً وأضاف انها معلمة في مدرسة ريفية: «مادلين تواقة إلى حياة الجامعة، ولقد أكدت لها أن أملها لن يخيب».

وتساءلت سامنتا عما هو تصور أمها الجديدة لحياة الجامعة، ودخلت إلى المنزل لتنقل الخبر إلى مدبرة منزلهما أديث، والمشرفة العامة على كل شؤونه منذ أن وعت سامنتا الدنيا. وقالت المرأة الطيبة بفزع:

ـ تزوج؟ ولماذا يفعل البروفسور شيئاً كهذا؟

ـ بسبب الحب كما أعتقد.

ـ في الستين من عمره؟ لقد كنت أظنه أكثر تعقلاً وتدبراً.

ومع أن سامنتا كانت توافقها الرأي ضمنياً إلا أنها لم تقر به. وقالت:

ـ الأفضل أن نجهز غرفة النوم الأمامية.

ـ غرفة والدتك؟

ـ لم تعد كذلك، فثمة زوجة جديدة الآن يا أديث. ويجب أن نتذكر هذا الأمر جيداً.

وانهمرت الدموع من عينيّ مدبرة المنزل، واستدارت لتسند نفسها إلى المغسلة قائلة:

ـ لن يكون هذا إذا كان المقصود نسيان الزوجة الأولى. وأنت لا تستطيعين النسيان بسهولة أيضاً. ولن تقنعيني إذا ما قلت إنك قادرة

على النسيان.

ـ بالطبع لا أستطيع النسيان. ولكن ما أقوله إنّ من الخطأ أن نستمر في العيش مع الماضي. وأنا مسرورة لزواج والدي.

ـ إذا كان ينوي الزواج أصلاً، فمن المؤسف أنه لم يتزوج قبل مرضه. فلو أنه فعل هذا لما أفسد مستقبلك العملي. ولكان حصل على من يرعاه ويساعده في عمله.

ـ كنت سأترك الجامعة في كل الأحوال. فلم يكن ليشعر بالسعادة فيما لو بقي أسير المنزل سنة كاملة ولو لم أقم بأبحاثه لما أنهى كتابه.

غرفة النوم الأمامية لم تستخدم منذ وفاة والدة سامنتا قبل عشر سنوات مضيت، وقد أُعيد دهنها وفرشها فلم تعد تحمل أي طابع حزين. وتساءلت ما إذا كان والدها يدرك كم هو محظوظ لحصوله على امرأتين تعتنيان به في حياته. والدته، التي تتذكرها كأم متحكمة ببيتها وترتدي الأسود طوال الوقت، ثم زوجته، المرأة المرحة والتي أدارت منزله بكفاءة جعلته يكرس نفسه تماماً لعمله. وعندما توفاها الله اختل نظام حياته مؤقتاً ولكن أديث استطاعت في وقت قصير أن تقوم بأعباء الحياة المنزلية بينما تولت سامنتا أموره الشخصية.

ومنذ سنة تبدّل الهدوء والاستقرار قلقاً وخوفاً إثر مرض والدها الذي أصابته نزلة صدرية تطورت إلى التهابات رئوية، تركته واهناً ضعيفاً مما جعل الجامعة تعفيه سنة كاملة من مهامه. وتركت سامنتا الجامعة في منتصف سنة التخرج كي تقوم بالأبحاث الضرورية فيتسنى لوالدها تأليف كتابه ووعدته أن تكمل دراستها عندما تتحسن صحته وكانت رحلته إلى اليونان في عيد الفصح آخر مرحلة في نقاهته.

www.elromancia.com

وأخرجت الرسالة من جيبها لتعيد قراءة موعد وصول والدها وزوجته الجديدة. فوجدت أنهما سيصلان غداً في مثل هذا الوقت، وسترى حينئذ الأسوأ... وقالت لنفسها بصوت مرتفع:

ـ بل الأفضل.. فكري بإيجابية يا فتاة.. فكري بإيجابية!

لكن النظرة الأولى إلى زوجة أبيها لم تشجعها أبداً على أن تكون إيجابية التفكير. فقد اجتازت السيدة ويسلر الجديدة المرجة الخضراء أمام المنزل بخيلاء مرتدية بزة من التويد الصوفي الخشن وعلى رأسها قبعة تناسبها، وقالت بصوت مرتفع:

ـ عزيزتي سامنتا. أنا مسرورة للقائك لقد أخبرني ادوارد كثيراً عنك.

ادوارد.. سماعها اسم أبيها هذا، بعد مضي سنوات طوال كان الجميع ينادونه خلالها باسم ادي، جعل أجراس الخطر تدق بقوة في ذهن سامنتا منذرة والتفتت إلى والدها الذي بدا غير مستغرب لسماع اسمه بالكامل وأخذ يبتسم بسعادة إلى عروسه. وتابعت المرأة:

ـ لن أتوقع أن تنادي «أمي» وأنت أكبر سناً من أن تنادي خالتي.. فلا بأس بأن تنادي مادلين.

وتمتمت سامنتا أنها ستكون سعيدة بهذا الاسم، وتساءلت أين هو السحر والذكاء اللذان أخبرها عنهما والدها. ولم يظهر أي شيء من ذلك إلا بعد انتهاء العشاء، عندما استراحت السيدة ويسلر في مقعد مريح وحثت زوجها على الحديث الذي هو أحبّ شيء إلى قلب والدها وبدأ يروي لهما كم تقدم في الكتابة هذا اليوم ذاكراً المشاكل التي واجهها.

وأبدت مادلين ويسلر اهتمامها بكل كلمة قالها، فراقبتها سامنتا التي اعترفت بأن اهتمامها حقيقي فما من شك أن المرأة مولعة

بالثقافة، وأن سعادتها لا توصف لحصولها على بروفسور حقيقي. وقد أكدّ ظنها الأسئلة التي أمطرت سامنتا بها، والتي أظهرت الاهتمام الشديد بحياة ومركز البروفسور الأكاديميين.. وقالت:

ـ من المهم جداً أن يعلم تلامذة ادوارد أن بإمكانهم المجيء إلى هنا متى شاؤوا. وهذه ثقة كان زوجي الراحل يشجعها في تلاميذه. ولكن المدارس العادية لا تعطي الإنسان الفرص نفسها. ولا بد أن الجامعة مختلفة تماماً، وأنا واثقة بأن التلامذة سيحبون قضاء بعض الوقت في جو عائلي.

وردّ عليها ادي ويسلر قائلاً:

ـ أنا أفتح منزلي مرّة كل صيف. وأخشى أن يصبح الأمر عملاً مضنياً لأديث إذا ما تكرّر كثيراً.

ـ أنا واثقة بأننا نستطيع زيادة عدد زيارات التلاميذ في المستقبل. انتظر حتى تتذوق طبخي يا ادوارد، فلن يخيب أملك أبداً.

ونظرت بعينيها البنيتين البارزتين إلى سامنتا:

ـ أعتقد أنك تعتبرين الطبخ مضيعة للوقت؟ فمعظم المنهمكين في الدراسات يعتقدون ذلك.

فرد والدها قائلاً:

ـ سامنتا طاهية ممتازة. يجب أن تتذوقي «السوفليه» من يدها، فهي أفضل من طهاها.

فردت عليه السيدة ويسلر قائلة:

ـ ليس في طهو «السوفليه» أية صعوبة.

فتدخلت سامنتا بسرعة:

ـ لقد حضرت الطعام ليوم غد. ولكن بعد ذلك تتولين المهمة يا مادلين.

ـ شكراً لك يا عزيزتي.. لن تندمي على ذلك أبداً، وآن لك أن

www.elromancia.com

تواصلي تعليمك مجدداً. فقد قال لي والدك إنك قد عدت إلى المنزل للعناية به بعد مرضه.

تلك الليلة، بعد أن صعدت إلى فراشها، دخل والدها عليها ليكلمها. وكانّ قد خلع سترته. وسرّها أن تراه سليم البنية غير نحيل ولم تستطع أن تصدق أنّ هذا عائد لمادلين. وبدأ حديثه عن عروسه بحرارة وصدق:

ـ قد يكون انطباعك عنها للوهلة الأولى غير جيد وذلك لأنها متوترة الأعصاب تحاول جاهدة إرضائي. ولكنها امرأة عطوف قوية، وأشعر أنني أستطيع ترك كل أموري بين يديها وأعلم أنها ستنجح.

وقالت سامنتا، وقد تألمت:

ـ لكنك سلمتنا أمورك سابقاً.

ـ أعلم هذا يا عزيزتي.. أنت وأديث أحسنتما الاعتناء بي. ولم يكن ذلك من حقي. ولقد شعرت بالأسى لأني طلبت منك التخلي عن مستقبلك في السنة المنصرمة.

فسارعت إلى الإجابة قائلة:

ـ لقد تمتعت بهذا... إذ أكسبني العمل معك خبرة ومعرفة ما كنت أكتسبها خلال عشرة فصول دراسية!

ـ وهذا ما يذكرني بسبب مجيئي إلى غرفتك. فزواجي يجب أن لا يؤثر على حياتك، فهذا بيتك وسيكون دائماً ما دمت تحتاجينه ولا داعي للانتقال عندما تتابعين دراستك.

وأبدت سامنتا دهشتها، فهي لم تفكر قط بترك المنزل. فذلك سيزيد مصروفها والحرية التي ستحصل عليها فيما لو سكنت وحيدة لا تساوي أو تعوّض سكنها في هذا البيت الفخم ذي الحديقة الغنّاء. ومع ذلك فقول والدها هذا يشير إلى أن مادلين قد تباحثت معه الأمر واستنتجت أن المرأة تريد منها الرحيل وهي لا تلومها

أبداً. فلو كانت مكانها لتمنت الشيء نفسه ألا وهو رحيل ابنة زوجها.

ـ من الأنسب لي أن أقطن منزلاً مستقلاً وهذا ما يفعله من كان في مثل سني.

ـ في الواحدة والعشرين؟

ـ هذه سن متأخرة في هذه الأيام.

ووقف البروفسور، وقبّل رأس ابنته:

ـ افعلي ما يحلو لك يا عزيزتي. وبالطبع إذا تركت المنزل سأزيد مصروفك.

ـ لا حاجة لهذا.

ـ لن تجدي من السهل أن تعيشي بمفردك. وعلى كل الأحوال أنت تعملين كمساعدة لي منذ سنة. وهذا يعني أن لك في ذمتي حوالي ألف جنيه.

ـ لا تكن سخيفاً، لم أفعل ذلك من أجل المال.

ـ أعلم.. ومع ذلك أريد أن أدفع لك. وستتكلم في الأمر لاحقاً.

وبعد مغادرته غرفتها، أخذت سامنتا تفكر في المستقبل. مادلين على حق. فبقاؤها يعني خلق مشاكل عديدة هي بغنى عنها. فأديث، مثلاً، لن تقبل بوجود سيدتين، فلو أعطتها مادلين أوامر لم تعجبها قد تلجأ إليها ملتمسة التأييد. وقد ينتهي هذا الولاء إلى تنافر. ووالدها هو الذي سيعاني من هذا في النهاية. ولذلك فمن الأفضل أن تجد لها سكناً خاصاً بها بأسرع وقت ممكن.

وأحسّت بالسعادة لتوصلها إلى بعض الحلول بصدد مستقبلها فاضّجعت في فراشها، وعادت أفكارها إلى أمها، التي لا تزال ذكراها حية، مع أن هذه الأفكار لا يمكن أن تساعدها.

www.elromancia.com

٢ ـ صراع الأجيال

صممت سامنتا على إيجاد سكن آخر لها لكنها تلقت ضربة مخيبة عندما اكتشفت الأسعار المرتفعة للشقق المتواضعة، ورغم محاولتها البحث عن مسكن رخيص، إلا أن كلفة السكن في أصغر شقة كانت أبعد بكثير عما تستطيع تحمله.

وكرهت أن تذكر هذا لوالدها، خشية أن يفهم رغبتها الملحة في ترك المنزل انتقاداً لزوجته فقد حافظت إلى الآن على علاقة ودية معها. ولكن عندما أقام والدها حفلة تعريف زوجته الجديدة إلى معارفه وزملائه في الجامعة، أدركت سامنتا ضرورة الإسراع في مغادرة المنزل وهي على وفاق مع زوجة أبيها. ازداد توتر مادلين خلال السهرة بعد أن رأت سامنتا تشارك في الحديث، ومع أنها لم تذكر شيئاً عن الأمر عند انتهاء الحفلة، إلا أنها أظهرت خيبتها وغضبها بعد بضعة أيام. إذ قالت لها:

ـ ليس من الجيد أن تكوني برفقة من هم أكبر منك سناً طوال الوقت. ويجب أن يكون لك أصدقاء فأنا لم أرك تخرجين مع صديق إلى الآن.

فرد عليها البروفسور ويسلر قائلاً:

ـ أمام سامنتا الكثير من الوقت قبل التفكير بصديق. وأتمنى أن تكون أكثر تعقلاً للبقاء دون رفيق لخمس سنوات على الأقل.

وعليها أن تشاهد ما في العالم قبل أن تستقر في الحياة البيتية.

فردّت عليه زوجته قائلة:

ـ يا لتخلفك يا ادوارد. فهذه الأيام لا يعني الزواج الحياة البيتية. إذ تستطيع المرأة المتزوجة الاستمتاع بحياتها كالعزباء تماماً.

ـ ليس إذا أرادت أن تصبح زوجة وأماً طيبة.

فقالت مادلين:

ـ لقد تزوجت وأنا في العشرين من عمري. وأنا فخورة بنفسي لأنني كنت زوجة قادرة غير مملة. إذ كنت أعلّم في المدرسة مع زوجي وأدير منزلي في الوقت نفسه.

فقالت سامنتا بسرعة:

ـ ولكنك امرأة مميزة. فلست واثقة بأنني أمتلك قدرتك وموهبتك.

وتابعت مادلين اعتراضها:

ـ خذ مثلاً الحفلة التي أقمناها منذ أيام. لم يكن فيها شاب واحد إذ أحاطها الرجال المسنون من كل حدب وصوب.

ـ لو سمع أصدقائي هذا الوصف لامتعضوا.

ـ أنت تعلم ما أقصد يا ادوارد.

ـ أجل يا عزيزتي..

وقالت سامنتا بعد فترة صمت:

ـ لقد رأيت عدة شقق. وأنا أرجو إيجاد ما هو مناسب قريباً.

فسألتها مادلين:

ـ ألا تستطيع الجامعة مساعدتك؟

ـ هذا ممكن في شهر أيلول. فهناك أمل في أن أحصل على غرفة في الجامعة. والمشكلة هي إيجاد مكان آخر حتى حلول أيلول.

ـ أليس هناك غرف شاغرة في الوقت الحاضر؟

ـ المشكلة إن الإصلاحات قائمة في الجامعة.

فتدخل والدها:

ـ لا مشكلة يا ابنتي فأنت تملكين منزلاً تقيمين فيه. وما من أحد يدفعك إلى الخروج منه.

ولم يلاحظ نظرة الانزعاج التي رمقته بها زوجته، ولكن هذه النظرة لم تفت سامنتا، ولم تدهش عندما فاتحتها بالموضوع نفسه بعدما دخل والدها إلى مكتبه إثر وجبة العشاء:

ـ لا تحسبي الأمر طرداً من البيت يا عزيزتي ولكنني واثق بأنك تدركين أن...

فردّت عليها سامنتا بلطف:

ـ أدرك هذا، وأوافقك الرأي. ولهذا أريد الانتقال. فهذه أفضل طريقة لنبقى أصدقاء.

ـ لست أدري إذا كان والدك يعطيك مصروفاً ولكنني لن أعارضه إذا فعل.

وأدارت سامنتا وجهها لتخفي نظرة غضب غير متوقعة:

ـ هذا لطف كبير منك.

ـ ومع ذلك فأنت تعلمين أننا ستكبّد مصاريف طائلة هذه السنة. لأننا سنصلّح المنزل وسنغير أثاث غرفتي الاستقبال والطعام. فأنا لم أشعر بعد بأنني في منزلي.

ـ لقد انتقلت إليه لتوك. وسيمضي وقت قبل أن تعتادي عليه.

ـ أعلم هـذا. ولكنني لن أشعر بـأنني في بيتي حتى أشعر بالراحة.

وتنهدت سامنتا، ودفعت خصلة من شعرها وقعت على جبينها، وقالت:

ـ أنا لست بحاجة لمصروف من والدي. لقد كان كريماً جداً معي.

ـ إنه رجل كريم جداً. وأنا سعيدة لأنك لست من النوع الذي يستغل كرمه.

ـ وأنا بدوري أتمنى أن تكوني من الزوجات اللاتي لا يستغلن أزواجهن.

واحمّر وجه مادلين غضباً:

ـ أتحاولين أن تكوني فظة معي يا سامنتا؟

ـ لست أكثر فظاظة منك. فأنت تذكرين ما يجول في خاطرك دون مواربة وأنا أفعل الشيء نفسه. وأفيدك علماً أنني لا أنوي أن أكون عبئاً ثقيلاً على والدي، فأنا في الواحدة والعشرين. وقادرة على العناية بنفسي. ولا تنسي أنني كنت سأتخرج السنة الماضية لولا مرض والدي واضطراري إلى المكوث بجانبه.

فقالت مادلين بسرعة:

ـ لقد كنت ابنة رائعة. وأنا لا أدفعك إلى مغادرة المنزل.. ولكن..

ـ لا تقلقي يا مادلين، سأتركك قريباً لتتسنى لك السيطرة الكاملة.

ـ لك طريقة غريبة في وصف الأمور.

ـ أنا أنظر إلى الأشياء نظرة مختلفة.

ـ آه.. أجل إنه الصراع بين الأجيال!

وابتسمت مادلين، مسرورة من نفسها لأنها وجدت التفسير المرضي للخلاف البسيط القائم بينهما، وتركتها وحدها، وتوجهت سامنتا إلى المطبخ وهي تفكر. وما إن رأتها أديث حتى قالت لها:

ـ تبدين حزينة.

www.elromancia.com

ـ كنت أفكر بالعمل الذي أستطيع القيام به حتى يحين موعد الجامعة في أيلول.

ـ ولكنني ظننتك تساعدين والدك على تأليف كتابه.

ـ لقد أتممت كل الأبحاث الضرورية، وهو يحتاج الآن إلى سكرتيرة ليس إلا.

ـ إذاً امنحي نفسك عطلة. فأنت تستحقينها.

ـ لا أحتاج إلى عطلة إنما إلى وظيفة. فعليّ أن أعيل نفسي يا أديث، ولا أستطيع الاستمرار في الاعتماد على أبي.

ففغرت أديث فمها ثم قالت:

ـ ولكنك لم تتدربي على أي عمل بعد.

ـ فقط على الأعمال المنزلية. وهو العمل الوحيد الذي أجيده. هل تتصورينني كمدبرة لمنزل رجل عجوز؟

ـ لو اقتصر الأمر على إدارة منزل رجل عجوز لهان الأمر. ولكن قد ينتهي بك الأمر إلى العمل مع امرأة عجوز. تبقين رهن إشارتها ليل نهار.

فنظرت سامنتا إلى أديث بفضول:

ـ أنا واثقة بأنني سأجد شيئاً منصفاً ولائقاً كي. بمَ كنت تشعرين طوال هذه السنين وأنت تعتنين ببيت شخص آخر؟.

فالتفتت إلى سامنتا:

ـ الاعتناء بمنزل لا أملكه أفضل من أن لا يكون لي مأوى أقطن فيه. وأنا لم أكن أبداً من النوع الذي يجذب الرجال، ويجب أن أعترف بأن هذا لم يقلقني كثيراً. من الممكن أن أكون فعلت هذا لو لم أكن سعيدة هنا، ولكنني استمتعت بكل دقيقة من وقتي مع أمك والبروفسور.. ولست واثقة من شعوري الآن. فعلي الانتظار لأعرف.

وخلعت مريلتها وعلقتها خلف باب المطبخ، وبدت في ثوبها البني المعرق هرمة. وقالت:

ـ ساخرج لأقابل صديقتي كوليت إيكنز. لقد أدخلت القهوة للبروفسور.

وألقت سامنتا نظرة إلى ساعتها:

ـ إنها التاسعة، أليس الوقت متأخراً للخروج؟

ـ صحيح، أنا تعبة أيضاً.. ولكنني وعدت كوليت بالزيارة وتبادل الأحاديث.

ـ دعيني أوصلك.

ـ ليست المسافة بعيدة بالباص.

ـ ستكون أقصر بالسيارة! فوالدي لم يضعها في الكاراج بعد، فلا مشكلة إذاً.

ولم يكن الطريق مزدحماً فوصلتا إلى الطرف الآخر من البلدة بوقت قصير، وما إن أوقفت سامنتا السيارة حتى قالت لأديث:

ـ اذكري موعد عودتك لأعود إليك بعد وقت قصير، لأتناول خلاله القهوة.

ـ لماذا لا تدخلين معي؟ فكوليت ستسر برؤيتك.

وابتسمت سامنتا مستجيبة، فهي تعرف كوليت منذ طفولتها حيث كانت تحصل دائماً على عصير البرتقال والحلوى من يد كوليت التي كانت تعتني بأمها وتعيل نفسها من بستان الفاكهة الواقع خلف كوخها. ولكنها منذ وفاة والدتها عملت كمدبرة منزل في لندن. ومنذ شهرين توفي مخدومها، وعادت إلى منزلها ريثما تجد عملاً آخر.

ولم تكن سامنتا قد رأتها منذ عام أو يزيد وأصابتها الخيبة عندما رأت كوليت أكثر عجزاً. ولكنها لم تفقد حيويتها وهي تروح وتجيء من البراد إلى الطاولة، تخرج عصير البرتقال المشهورة بصنعه وهي

www.elromancia.com

تخبرهما عن المركز الجديد الذي حصلت عليه.

ـ سأعمل مع السيد غاريت.

وأشارت لهجتها إلى أنها تتوقع منهما أن تعرفا من هو، فسألتها سامنتا:

ـ وهل هو شخص مشهور؟

ـ إنه الرأسمالي المشهور صاحب شركة دايفد غاريت للتأمين.

لقد سمعت به سامنتا بالتأكيد. فقد جعلته براعته في استثمار الأموال أحد أثرى أثرياء البلاد... وقالت أديث:

ـ تبدو وظيفة هامة.. هل تظنين أن بإمكانك النجاح فيها؟

ـ ستكون أسهل وظيفة حصلت عليها. فهي وظيفة مشرفة أكثر منها مدبرة منزل. فلديه عمال كثيرون، ولديه موظف خاص يعتني بشؤونهم! ووظيفتي أن أبعد عنه المشاكل المنزلية. فإذا ترك أحد العاملين عمله، توجب أن أحل مكانه إلى أن يجد البديل.

فضحكت سامنتا:

ـ إنها واجبات الزوجة.

وسألتها أديث:

ـ متى ستبدأين العمل عنده؟

ـ الاثنين القادم. ولكن ليس في منزله اللندني بل في منزله الريفي. قرب «مايدنهيد» ويعرف باسم «بارتهام».

ـ وماذا حصل للمرأة التي ستحلين مكانها؟

ـ ستسافر إلى كندا. إذ هاجرت ابنتها إلى هناك منذ سنوات وهي تتوقع ولادة توأم الآن. ولو لم تكن مضطرة إلى السفر لما تركت العمل عندالسيد غاريت وستبقى حالياً مدة خمسة عشر يوماً تعلمني خلالها واجباتي.

فابتسمت سامنتا:

ـ أيعقل أن يعلمك أحدهم واجباتكم؟ فأنت قديرة كأديث.

ـ السيد غاريت يحب أن تتم الأمور حسب طريقة محددة. وعندما عملت عنده السيدة غودمان جعلها تعده بأن لا تترك العمل قبل أن تدرب من سيحل مكانها. ولقد وعدته بدوري فهو لا يحب اختلال نظام حياته المعتادة بل يحب أن تسير الأمور على وتيرة واحدة.

ـ سيكون محظوظاً إذا حصل على كل شيء كما يريد، ولكن أعتقد أن الأمر ليس صعباً.

ـ إنه يعمل بجد وجهد كبيرين وهو يستحق بعض الراحة.

قالت كوليت هذا وسعلت ثم شهقت، وقالت شارحة:

ـ صدري يؤلمني كثيراً.

ـ يجب أن تجري بعض الفحوصات.

ـ سأفعل هذا عندما أستقر في العمل. فالسيدة غودمان تفتش عن الشخص المناسب منذ أشهر ولا أريد خذلانها. لقد كانت دقيقة في اختيار من سيحل محلها.

عندما ابتعدتا عن منزل كوليت تحدثت سامنتا عن صحة كوليت التي بدت مريضة للغاية ووافقتها أديث الرأي. وشعرتا معاً بالقلق، واستمر هذا الشعور إلى أن وصلتا إلى المنزل. وما إن دخلتا حتى استرعى انتباههما رنين الهاتف، فتوقفت أديث عند باب المطبخ بينما التقطت سامنتا السماعة. ولم تكد أديث ترى نظرة الرعب على وجه سامنتا حتى أسرعت إليها قائلة:

ـ إنها كوليت، أليس كذلك؟

ـ لقد انهارت بعد خروجنا، واستطاعت أن تضرب على الجدار الفاصل بينها وبين جيرانها لتسترعي انتباههم، فاستدعوا سيارة اسعاف.

www.elromancia.com

- وإلى أين أخذوها؟

- إلى مستشفى المقاطعة. سآخذك إلى هناك.

وخرجت سامنتا من جديد. لقد كان غريباً أن تخرج هذه الليلة دون سائر الليالي مع مدبرة منزلها لتقابل صديقة لها. ولو لم تفعل هذا لما تورطت في هذه المأساة.

وقال لهما الطبيب الشاب المناوب في المستشفى:

- إنه انسداد في شريان القلب. ولكنه انسداد طفيف. لذا عليها البقاء في المستشفى مدة ثلاثة أسابيع حتى تتماثل إلى الشفاء بعد ستة أسابيع أخرى.

فسألت أديث:

- وماذا عن عملها؟ لقد حصلت على عمل جديد تباشره يوم الاثنين.

- ليس هذا الاثنين بالتأكيد. لن تستطيع العمل قبل ثلاثة أشهر.

فسألته سامنتا:

- لكنك قلت إنها نوبة خفيفة.

- هذا صحيح. ولكن الراحة خير علاج لها. أبلغا رب عملها.

وهز الطبيب رأسه ورافقهما إلى غرفة في الطابق الأول. فيها سرير أسدلت الستائر من حوله. اضطجعت عليه كوليت مستندة إلى الوسائد، وبجانبها ممرضة ترعاها، فهمست:

- لم يكن يجب أن تزعجا نفسيكما. أشعر بأنني أفضل حالاً.

فقال لها الطبيب بمرح:

- لا تتكلمي. فلن تبقى صديقتاك أكثر من دقيقة.

وقالت سامنتا مسرعة:

- أردت أن أقول لك أن لا تقلقي على وظيفتك.. سأتصل بالسيدة غودمان بنفسي لأبلغها ما حدث.

- لن تستطيع انتظاري.

- أنا واثقة بأنك ستجدين وظيفة أفضل.

- لا.. لن أستطيع. إنه منزل جميل جداً، وسيكون عندي حديقة ملحقة بالمطبخ أيضاً.

وحرّك كلامها مشاعر كوليت فترقرقت الدموع في عيني سامنتا:

- سأذهب لمقابلة السيدة غودمان بنفسي.. وسأشرح لها أن..

- لن يفيد هذا، لقد حجزت للسفر إلى كندا ولن تستطيع تغيير الموعد. فابنتها ستلد بعد شهر.

- أنا واثقة بأنها لن تترك السيد غاريت. لقد قلت انها وعدته..

- لن تجد مشكلة في البحث عن أخرى بديلة عني، إذ تقدم للوظيفة عدد هائل. وما اختارتني إلا لأنها اتفقت معي.

فهونت عليها سامنتا:

- لا يجب ان تقلقي. سأذهب لأراها في الصباح الباكر ثم أعود لأقول لك ما حدث.

- لن تأتي بأخبار سارة.

- ستكون أخباراً سارة، لأنني أنوي أن أعمل مكانك إلى أن تستعيدي عافيتك.

وحدّقت كوليت وأديث إليها مذهولتين، واستعادت أديث جأشها أولاً:

- لا تكوني سخيفة آنسة سامنتا.. لا تستطيعين القيام بأعمال كهذه!

- ولمَ لا؟ لقد تعلمت العناية بالمنزل منك، ولن أحصل على معلم أفضل منك!

- وماذا سيقول والدك؟

- لن يعرف. ولماذا يعترض؟ أنت تعرفين أنني أبحث عن مكان

www.elromancia.com

أقيم فيه، وهذا سيجعلني أغادر منزله على الفور. وخلال عملي عند السيد غاريت أبحث عن شقة ما وستعطيني السيدة غودمان كل التعليمات التي كانت ستقدمها إلى كوليت وسأتمكن من تعليمك إياها يا كوليت.

فشهقت كوليت:

ـ أوه يا عزيزتي. كم أنت طيبة! لا أدري ما أقول.

وردت عليها سامنتا بحزم:

ـ لا تقولي شيئاً. لقد اتخذت قراري.

●●●

٣ ـ هل أنت السائق؟

يقع قصر «بارتهام» في ضاحية ريفية يصل إليها القطار، ويعتبر هذا القصر مقراً عظيماً لسيد محترم. يحيطه غرباً نهر كبير وتحيطه المزارع والبساتين الخضراء من الجهات الأخرى.

كانت سامنتا قد حددت موعداً لرؤية السيدة غودمان، فأوقفت سيارتها في الطريق الخاصة العريضة، وأذهلها جمال المنزل المتناسق الذي زاده جمالاً وسحراً الأزهار المتعددة الألوان التي وضعت على واجهاته، إضافة إلى حديقة زمردية تلتف حوله كبساط أخضر.

وفتح لها الباب، خادم في منتصف عمره قادها من ردهة تنتصب عواميد على جانبيها، إلى ردهة أصغر منها وهناك وجدت مدبرة المنزل واقفة بانتظارها، وكانت نسخة طبق الأصل من كوليت ايكنز. وقالت المرأة وهي تشير إلى سامنتا لتدخل إلى غرفة جلوس صغيرة مفروشة بشكل أنيق:

ـ كان عليك الدخول من مدخل الخدم. لحسن الحظ أن السيد غاريت مسافر، ولم يحدث أي مشكل.

ولم تدرِ سامنتا أي ضرر قد يحصل فيما لو كان السيد غاريت موجوداً، ولكنها لم تقل شيئاً. وتابعت المرأة، وهي تجلس على كرسي مريح وتشير إلى زائرتها بالجلوس، قائلة:

www.elromancia.com

ـ والآن آنسة ويسلر. . . اخبريني عن مرض الآنسة ايكنز؟

وشرحت سامنتا الوضع بسرعة عارضة خدماتها الخاصة إلى أن تستعيد كوليت عافيتها. ولكن السيدة غودمان قالت:

ـ لن نستطيع قبولك مكان الآنسة ايكنز، فأنت أصغر من أن يكون لديك خبرة كافية.

وردّت عليها سامنتا بحزم:

ـ لقد خدمت في منزل والدي لعدة سنوات. . . وكنا دائماً نستقبل الضيوف، إنه بروفسور في الجامعة.

ـ ولماذا تريدين وظيفة كهذه إذاً؟

ـ لأنه تزوج مؤخراً، وأنا أريد الابتعاد عن منزله. وأحتاج إلى مكان أقيم فيه حتى شهر أيلول، وبذلك تحل مشكلتي، وإذا أعطيتني التعليمات اللازمة أستطيع نقلها إلى كوليت عند استلامها العمل.

ـ هذا بعيد الاحتمال، فأنت أصغر من أن تتولي الإشراف على كل الخدم.

ـ وهل هناك الكثير منهم؟

ـ الخادم وزوجته، الطاهية عندما يكون السيد غاريت هنا وحده، مع أنه يجلب معه رئيس طهاته الفرنسي من لندن عندما يقيم مأدبة خاصة. ثم هناك خادمة المطبخ، وصبي لغرفة المؤن، وأربعة خدم في الداخل، إضافة إلى أربعة يعملون خارج المنزل، وأنا حقاً لا أعتقد أنك قادرة على هذه المسؤولية، آنسة ويسلر، وأنا أقدّر عملك النبيل تجاه الآنسة ايكنز، ولكن. . .

ـ جربيني. . . فأنا لا أريد أجراً، يكفيني فقط السكن هنا.

ـ لن يوافق السيد غاريت على هذا. فلن تعملي دون مقابل.

ـ أنا واثقة بأنني قادرة على التعاطي مع الخدم. فالمسألة مسألة

انسجام مع الناس ليس إلا. وإذا استطاع إنسان ما الانسجام مع شخصين أو ثلاثة فبمقدوره الانسجام مع عشرين شخصاً.

ـ الأمر ليس بهذه السهولة. فكل واحد هنا له واجباته الخاصة والجميع يحافظون على مسؤولياتهم بدقة. وعليك أن تكوني لبقة في بعض الأحيان لإبقاء الهدوء سائداً.

ـ جربيني أسبوعاً، وهذا ما يلزمك من وقت لايجاد بديلة أخرى.

فقالت السيدة غودمان وهي تتفحص سامنتا بدقة:

ـ هذا إذا وجدت واحدة لا تزال حرة.

وكانت سامنتا تعلم أن كل شيء سيعتمد على الانطباع الذي ستتركه في نفس السيدة غودمان، لذا كانت قد اختارت أكثر الثياب رصانة، واعتمرت قبعة أخذتها من أديت لتخفي شعرها بها. وتنهدت السيدة غودمان، ثم قالت:

ـ حسناً. . إذا كان عليّ أن أصل إلى كندا في الوقت المحدد، فليس أمامي خيار سوى القبول بك، إلى أن تستطيع الآنسة إيكنز استلام العمل. أرجو أن يكون الأمر واضحاً بيننا.

ـ بالطبع. . ومتى أبدأ؟

ـ يوم الاثنين. . كما اتفقت مع الآنسة إيكنز. . هل تحبين تناول كوباً من الشاي؟

وعلمت سامنتا من هذه الإشارة أنها مقبولة، وأخذت تراقب مدبرة المنزل وهي تعد الشاي، وتقطع عدة أجزاء من قالب حلوى بالفاكهة. وقالت المرأة بعد أن قضمت سامنتا قطعة من الحلوى وتمتمت بإعجاب:

ـ يتم طهو الطعام هنا، إذ لا يقبل السيد غاريت الطعام محضراً سلفاً تحت أية ظروف. والخضار والألبان تأتي من مزرعته، واللحم أيضاً.

www.elromancia.com

ـ والطيور تصطاد في أراضيه من دون شك.

ـ أجل بالطبع، والسمك من نهره. وعليك ارتداء ثوباً أسود فقط بأكمام طويلة.

ـ أكمام طويلة؟

ـ نعم، لتعطيك مظهراً مهيباً محترماً ولا تنسي أنك صغيرة...

ـ بالطبع.. سيدة غودمان..

وقررت أن تذهب إلى البلدة لتشتري كل ما يلزمها. فلأنها ستصبح مدبرة منزل هنا، وإن مؤقتاً، ستحتاج عدة أشياء تضيفها إلى خزانة ثيابها. حياة أبيها الجديدة قد انعكست دون شك على حياتها. ووقفت السيدة غودمان إشارة إلى أن المقابلة قد انتهت.

ـ السيد غاريت يعطي موظفيه أجراً سخياً ليشتروا ملابساً جيدة، ولكن بما أنك باقية هنا لبضعة أشهر فقط، فستكتفين بفستانين فقط.

ـ أنا لا أريد لمس منحة الملابس، فهي ملك كوليت.

ـ أنا متأكدة أنها لا تمانع بأن تصرفي القليل منها، فعلى كل الأحوال، أنت تحافظين على وظيفتها.

وقادت السيدة غودمان سامنتا في ردهة طويلة إلى باب جانبي، يطل على باحة، ثم اجتازتا ممر حجري له قناطر جميلة. وقالت لها السيدة غودمان:

ـ خذي يمينك تحت القنطرة تصلي إلى الطريق.

ونفذت سامنتا ما قالته لها. ولكن ما إن اختفت مدبرة المنزل داخل الباب، حتى عادت أدراجها نحو مدخل المنزل الأمامي حيث أوقفت سيارتها. وعليها أن تتعلم كيف تتصرف بحذر أكبر في المستقبل. فبنظر السيدة غودمان مدبرات المنزل السوداوات الملابس لا يقدن سيارة صغيرة حمراء اللون.

أخبرت سامنتا والدها أثناء العشاء تلك الليلة أنها وجدت وظيفة وسوف تغادر المنزل الاثنين القادم. فقالت زوجة أبيها:

ـ عمل وإقامة؟ أين؟

ـ عند السيد دايفد غاريت.

ـ المالي المعروف؟ يا فتاتي العزيزة، يا لهذه الفرصة الرائعة! أنا واثقة بأنك ستقابلين أشخاصاً مهمين خلال عملك عنده.

فرد البروفسور ويسلر متجهماً:

ـ إنها تقابل أشخاصاً مهمين هنا أيضاً. ولماذا يريد السيد غاريت أن يوظف تلميذة تاريخ؟

ولم تكن سامنتا قد فكرت بهذا السؤال:

ـ إنه عمل سكرتاريا أكثر منه عمل أبحاث.

ـ ولكنك لا تعرفين الطباعة ولا الاختزال.

ـ إنه لا يملي رسائله بسرعة.. و.. سيكون هناك بعض الأبحاث، إنه كتاب عن شركات التمويل في المدينة.

ـ لم أكن أظن أن السيد غاريت يملك الوقت أو الموهبة لتأليف كتاب.

ـ إنه نوع من الرجال يوفر الوقت لأي شيء يريده، شرط أن يكون راغباً به.

فقال البروفسور متعجباً:

ـ حقاً؟ أخبريني المزيد عنه.

وتحيّرت هل تقول له إنها لم تقابله وذلك يعني أسئلة جمة لا تستطيع الإجابة عنها، فحاولت أن تخترع شيئاً ما عنه من خلال ما تعرفه عن الرجل.

ـ إنه رجل في منتصف عمره، يحبُّ كل شيء كاملاً، يغضب سريعاً إن لم تنفذ أوامره، يسعى إلى تأمين رفاهته وراحته. ويكره

www.elromancia.com

أن يتغير شيئاً في نظام حياته.

فعلّق والدها قائلاً:

ـ لا يبدو هذا رائعاً، فهل تظنين أنك ستستمتعين بالعمل معه؟

ـ لن أراه كثيراً.. لأنه سيعطيني فقط تعليماته ثم يمضي في حال سبيله.

وعلّقت السيدة ويسلر، وقد سرّها أن المنزل أصبح بكامله لها.

ـ يبدو لي الأمر رائعاً.

وأحسّت سامنتا بسعادة لم تشعر بها من قبل لأنها ستغادر المنزل. فوالدها وزوجته بحاجة لأن يكونا وحدهما دون أن تكون موجودة كي تسبب لهما القلق، ولم تدهش عندما دخل عليها والدها، في وقت ما من تلك الليلة، ليقول:

ـ آمل ألا تكوني قد قبلت هذه الوظيفة بسبب مادلين. فكما قلت لك سابقاً، هذا منزلك، وسيبقى هكذا.

فقفزت سامنتا عن الأرض حيث كانت تحزم حقيبتها وعانقته:

ـ أشكرك على لطفك أيها الأب الحبيب، ولكن بقائي هنا لن ينجح. فعلاقتي مع مادلين ستتحسن إذا تركت المنزل.

ـ أنا آسف لأنك لم تحبيها.

ـ ولكنني أحبها، انها زوجة تلائمك تماماً، وهذا أهم من أي شيء آخر.

فتنهد البروفسور قائلاً:

ـ أعتقد أن أصدقائي ينظرون إليها على أنها اختيار غير موفق. ولكنها حساسة ومتواضعة وتعرف تماماً كيف تعتني بي، ولم يكن من العدل أن أستمر في الاعتماد عليك. وأنت ما كنت ستتركينني ما دمت أرملاً.

ـ ما كان عليك أن تتزوج من أجل هذا.

ـ بدا لي سبباً معقولاً، مادلين مختلفة تماماً عن أمك، وأنا متأكد أنك تدركين هذا. رغم أنه ليس من الجيد المقارنة بين شخصين.

ـ لا عليك يا أبي سأكون بخير في مقر عملي الذي لا يبعد عن بيتك كثيراً.

ـ هذا صحيح.. سأراك ثانية في الجامعة في أيلول هل ستنتهي أبحاث السيد غاريت حتى ذلك الوقت؟

ـ قطعاً، لذا أرجو أن تستخدم نفوذك لأحصل على غرفة ملائمة في الجامعة.

ـ ولمَ أنا والدك إذاً؟

وضحك.. ثم خرج وقد بدا أكثر راحة.

صباح الاثنين قدمت سامنتا إلى قصر بارتهام، مرتدية ثياباً تناسب دورها. فستاناً أسود صوفياً أكبر من قياسها، وجوارب سوداء سميكة وحذاء أسود دون كعب واضعة على عينيها نظارات لها إطار من المعدن، كانت قد وضعتهما مرة في تمثيلية مدرسية، أخفت بهما عينيها الخضراوين، وزاد هذا المظهر عدة سنوات إلى عمرها، ولحقت بالخادم عبر ممر الخدم إلى غرفة السيدة غودمان.

وبسهولة مدهشة استقرت سامنتا في مركزها الجديد. كل العاملين، كانوا يعملون في القصر منذ سنوات ولا يحتاجون لأي إشراف للتأكد من حسن عملهم. ولم تستطع فهم لماذا يحتاج السيد غاريت لتوظيف مدبرة منزل، لأن السيدة لوغان، الطاهية بإمكانها القيام بهذا الدور المطلوب منها.

بعد أن مضت بضعة أيام أدركت أنها أساءت الحكم على مركزها، فمخدومها لا يحتاج إلى مدبرة منزل بقدر حاجته إلى من تحل مكان الزوجة. فحين يكون في المنزل يتوجب عليها وضع زهور في غرفة نومه ومكتبته كل يوم، وأن تضع على الدوام

www.elromancia.com

المجلات الجديدة والصحف اليومية في غرفة الجلوس، حيث لا يسمح بأن توضع الوسائد على ظهر المقاعد بل أن ترتب بعناية لتعطي الغرفة مظهراً بيتياً.

في وقت آخر من ذلك الأسبوع، شاهدت غرفة نومه للمرة الأولى، وهناك وجدت رفوفاً مليئة بالكتب المنتقاة بعناية، تدور حول الأسفار، والتاريخ والفلسفة، ولم يكن بينها أية قصص، أو كتباً تتناول الأمور المالية. ولعل السبب يعود إلى شعوره بأنه يعرف كل شيء عن هذا الموضوع.

ليس من اليسير أن يتعرف المرء إلى رجل من خلال ممتلكاته التي تضيف كل قطعة منها أحجية أخرى إلى شخصيته فمعدات الستيريو الفخمة الموجودة في مكتبه وغرفة نومه تشير إلى ولعه بالموسيقى، ولكن بدا ذوقه متزمتاً، لوجود كمية غير متجانسة من تسجيلات موسيقى باخ وبورسيل، الذي تكرهه إلى حد بعيد. أما ثيابه فتدلك على شخصيته أكثر فأكثر تراها معلقة في خزانة لا يلمسها إلا اثنان: هو وخادمه الخاص.

قالت مدبرة المنزل:

ـ نحن نعتني بالثياب إذا غاب السيد مدة طويلة ويقتصر دورنا على تهويتها، لأن السيد يكره أن ينتقل أي شيء من مكانه مقدار أنملة.

ـ أراهن أنه لم يحدث ذلك أبداً!

ـ بالطبع لا، علماً أنه لا يرتدي غير الثياب الصوفية أثناء وجوده.

ـ يبدو لي صعب المراس إلى درجة تجعلني دهشة من قدرتك على البقاء معه.

ـ لن تجدي رجلاً ألطف منه. ولما كنت سأتركه لولا توسلات ابنتي، اسمعي: إن ابتعدت عن القال والقيل وعن إزعاجه، واتبعت

تعليماته بحذافيرها تركك وشأنك.

وبما أن هذا هو بالضبط ما تريده سامنتا، فقد أقسمت أن تتبع أوامره مهما كانت. وسألت:

ـ وأين هو السيد غاريت الآن؟

ـ في هونغ كونغ. ولكنه سيعود قريباً. فسكرتيرته تتصل دائماً لتخبرنا متى تتوقع قدومه. وهو يقضي معظم عطلات الاسبوع هنا عندما يكون في انكلترا، وفي الصيف يأتي مرة أو مرتين في الأسبوع وهذا وقف على عمله.

ـ وهل يقيم الكثير من حفلات الاستقبال؟

ـ يقيم معظمها في لندن. ولكن إذا أقام مأدبة في منزله، يحضر معه دائماً السيد موريس، رئيس الطهاة. ويجب أن تحذري منه.. إنه فرنسي.

ولم تدرِ سامنتا ما تقصده بهذا التلميح، ولكنها فضلت أن تنتظر لتتعرف إليه في الوقت المناسب. ونظرت إلى صورتها في المرآة، تلك الليلة، فاستنتجت أنها لن تخاف أي رجل، أفرنسياً كان أم لا.

يوم السبت، عادت سامنتا إلى منزلها فقضت فيه يوماً كاملاً. السيدة غودمان ستسافر إلى كندا في نهاية الاسبوع القادم، واقترحت عليها أن تأخذ عطلة قبل أن تستلم واجباتها.

غيابها لأسبوع كامل عن المنزل، زاد من محبة زوجة أبيها لها، التي استقبلتها وكأنها الابنة الغائبة منذ زمن طويل، وأمطرتها بالأسئلة عن عملها ومخدومها. ولم ترغب باختراع أية أكاذيب عنه وعن أبحاثه، لذا قالت إنه سافر إلى الخارج وإنها أمضت الأسبوع تحضر الكتب والمراجع التي طلبها منها. ولتتجنب المزيد من الأسئلة، أطرت الغداء الذي حضرته لها زوجة أبيها.

فابتسم والدها وقال:

www.elromancia.com

ـ مادلين طباخة ممتازة، لقد قلت لك هذا.

فقالت وهي تحمسها:

ـ بل أستعيض عن هذه الكلمة بكلمة رائعة.

وقالت مادلين:

ـ أنا أتمتع بالطبخ وخاصة الحلوى منها. وإذا أعطيتني علماً بقدومك في المرة القادمة سأحضر لك «الكاتو» الذي أجيده تماماً.

وعادت إلى القصر بعد ظهر الأحد. سالكة طريق الخدم بعد أن تعلّمت درسها جيداً، وأحست بدفء أشعة الشمس الغارية.. فتوقفت رافعة رأسها إلى السماء، وهي تحس بالغبطة تملأها.

وسمعت وقع أقدام، فاستدارت لترى رجلاً أسود الشعر، طويلاً مرتدياً سروالاً أسود وكنزة. واضعاً نظارة سوداء كبيرة تزيد من قساوة مظهره مخفية تعابير وجهه. ولكنه عندما تكلم، بدا صوته لطيفاً، وتساءلت ما إذا كان جو الصرامة جزء لا يتجزأ من شخصيته، وسألها:

ـ هل تبحثين عن أحد؟

ـ أنا في طريقي إلى المنزل، فأنا أعمل هنا.

ـ وما عملك؟

ـ مدبرة المنزل. على الأقل هذا ما سأقوم به من عمل بعد أن تسافر السيدة غودمان.

وبدت عليه الدهشة بشكل ظاهر وهو يقول:

ـ أنت؟ لقد قالت السيدة غودمان إنها وظفت امرأة في منتصف عمرها. ولا بد أن عمرك لا يزيد عن الخمسة والثلاثين عاماً.

وأخفت سرورها لأن تخفيها كان ناجحاً.

ـ لا شأن لك بعمري.

فقال، وكأنه لم يسمع تعليق سامنتا:

ـ لا بد أن السيدة غودمان قد جنّت. فماذا حدث للمرأة الأخرى التي اتفقت معها؟

ـ لقد مرضت الآنسة إيكنز فجأة، وأنا أحلّ مكانها. فستعود إلى وظيفتها بعد ثلاثة أشهر تكون خلالها قد تماثلت إلى الشفاء.

ومرر يده في شعره وهو يقول:

ـ الأمر كله جنون!

وبدا بحركته هذه أصغر عمراً، ربما في بداية الثلاثينات، ولعله في الخامسة والثلاثين. وانحنى ليلتقط جلد التنظيف الذي أوقعه من يده ثم تابع التحديق إليها:

ـ لم يكن على السيدة غودمان أن تستخدمك كان يجب عليها أن تجد واحدة أخرى.

ـ لست أفهم لماذا. فأنا قادرة تماماً على إدارة شؤون المنزل، وقبل أن أترك العمل سأعلم الآنسة إيكنز كيف تقوم بالعمل بدقة.. ولكنني ما زلت أعتقد أن الأمر ليس من شأنك.

ـ أحب أن أعرف ماذا يجري هنا.

ـ بم ستشعر فيما لو علّمتك كيفية المحافظة على سيارتك نظيفة؟

ـ استميحك عذراً!!

ـ بالطبع لن يعجبك الأمر.. أليس كذلك؟ لذا اقترح عليك الاهتمام بعملك على أن تتركني أهتم بعملي.

فرد عليها بحدة قائلاً:

ـ أنا أعرف كل شيء عن السيارة.

ـ وأنا أعرف كيف أدير منزلاً!

ـ وأين عملتِ قبل الآن؟

ـ كنت أعتني بمنزل والدي.

وأدهشتها نظرة الذهول على وجهه إلى أن تذكرت أنها من

www.elromancia.com

المفترض أن تكون في الخامسة والثلاثين من عمرها. فأحنت وجهها لتخفي ابتسامة وتابعت:

- إنه والد متزمت يحب أن يتركني أسيرة منزله الضخم جداً.

- وهل هو ضخم إلى درجة توفر لك خبرة ومعرفة في إدارة هذا المنزل.

- في الواقع هذا المنزل، يدير نفسه. فإن لم تستطع جمهرة من الخدم الاعتناء برجل واحد عجوز عندها..

فقاطعها السائق:

- إنه ليس عجوزاً!

واحمرّ وجه سامنتا. فكيف تسمح لنفسها بالحديث عن رب عملها؟ وتابع كلامه:

- أنت تتكلمين وكأنك تعرفينه.

- أنت تعلم أنني لا أعرفه. ومع ذلك فعندما لا تفعل شيئاً خلال خمسة عشر يوماً سوى التعرف إلى طباع رب عملك وغرابة أطواره، ستشعر وكأنك تعرفه منذ سنوات!

- أنا لا أعتبره غريب الأطوار.

- ربما أمضيت معه زمناً طويلاً فلم تعد تلاحظ غرابة أطواره.

- ولماذا تظنينه غريب الأطوار؟

- لا أريد التحدث معك عن السيد غاريت.

- هذه ميزة جديرة بالإطراء. وأتمنى أن تحافظي عليها.

- لقد أخبرتني السيدة غودمان أن الصحفيين يأتون إلى هنا عادة طلباً للمعلومات.. فهل أنت صحفي تدعي أنك سائق؟

فابتسم، وهو يتابع تأملها، دون أن يتفوه بكلمة فقالت بحدة:

- حسناً؟ أنت لم تجب عن سؤالي.

- لا تقلقي أنا لست صحفياً.

وهزت كتفيها، ثم توجهت نحو المدخل. ولم يلحق بها ولكن عندما فتحت الباب وأعادت نظراتها إليه وجدته مثابراً على تأملها.

بينما كانت تفرغ حقيبة ملابسها الصغيرة في غرفتها، تساءلت ما إذا كان السائق يرافق السيد غاريت كلما جاء من لندن. وبدا هذا أمر منطقي ولكنها اعتقدت أن السيد غاريت قد لا يرغب باصطحاب سائقه عندما يمضي أياماً معدودة في الريف حتى لا يبقى متسكعاً دون عمل.

وجعلتها هذه الفكرة تبتسم، فالمنزل كبير حتى أنه يصلح أن يكون ثكنة عسكرية.

وسوّت تنورتها جيداً، ثم خرجت من الغرفة باحثة عن السيدة غودمان، التي وجدتها ترتشف فنجان الشاي الذي لا بد منه في غرفة الجلوس، فابتسمت السيدة لها وقالت:

- لم أكن أتوقع قدومك الآن ولكنني سعيدة بذلك. فقد اعتدت على صحبتك.

- أرى أن السيد غاريت في المنزل.. متى وصل؟

- في وقت مبكر من بعد الظهر دون سابق إنذار. ويظهر أنه قد أنهى رحلته قبل يوم من موعدها، وعاد إلى الوطن دون أن يعلم أحداً، ودون أن يتصل بالمطار على الأقل.

- ربما أراد أن يداهمك وأنت تأكلين أفضل كافيار لديه مستخدمة أفضل أطباقه الفضية!

فأجابتها بلهجة مصدومة أنَّ مخدومها لا يتجسس أبداً ولذلك يحسن اختيار موظفيه. ثم تابعت قائلة:

- وهل يأتي السائق معه دائماً؟

- أحياناً يحب السيد غاريت أن يقود سيارته بنفسه، ويقول إنَّ هذا يريحه. ولكن لا تقلقي من السيد هوارد، فله مسكنه الخاص

www.elromancia.com

فوق الكراج ونادراً ما يدخل المنزل. وإذا كان سيقيم هنا لمدة طويلة يأتي بزوجته معه.

ـ لم أكن أعلم أنه متزوج.

ـ إنه متزوج منذ خمس سنوات، وزوجته جميلة أيضاً.

ونظرت السيدة غودمان إلى الساعة الموجودة فوق المدفأة وتابعت:

ـ أريد أن أقدمك إلى السيد غاريت، فهو سيغادرنا في الصباح الباكر. لأنني عند عودته أكون قد سافرت.

وشعرت بأن مسؤولية البيت ستكون كبيرة جسيمة عليها، وتساءلت كيف ورطت نفسها بذلك. ولكن هذه الطريقة في التفكير تؤيد رأي السيد هوارد الذي شك في قدرتها على تحمل مسؤولية هذا المنزل الضخم.

وقالت السيدة غودمان:

ـ تعالي معي. سأعرفك إلى السيد غاريت قبل العشاء. فهو غالباً ما يكون هادىء المزاج في مثل هذه الساعة.

ـ أو لا يكون أفضل حالاً بعد العشاء؟

ـ إنه يحب الاستماع إلى الموسيقى بعد العشاء، ويكره أن يزعجه أحد.

ـ موسيقى باخ. وبورسيل!

وردت عليها وهما تتابعان السير في الردهة:

ـ لديه الكثير غيرها. لديه مئات من التسجيلات في المكتبة، فاحذري مقاطعته عندما يستمع إلى الموسيقى، كي لا يثور في وجهك غاضباً.

ـ سأسجل هذا في مفكرتي.

وأخرجت مفكرة صغيرة كانت قد دوّنت عليها كل المعلومات

التي تتعلق بمخدومها فأضافت إليها هذه المعلومة أيضاً. ونوت أن تطبعها على الآلة الكاتبة لتسلمها إلى الآنسة إيكنز لاحقاً على أن تضيف إليها المعلومات التي ستكتشفها بنفسها وهي كثيرة على ما يبدو.

فوجدت أن المرأة قد فتحت باب المكتبة ثم قالت له:

ـ أحب أن أقدم لك الآنسة ويسلر التي ستدير المنزل إلى أن تتمكن الآنسة إيكنز من استلام مهماتها.

وانحنى الرجل الطويل ليضع قطعة حطب في النار، ثم استقام والملقط في يده، واستدار لينظر إلى سامنتا، وأضاء نور المصباح الجانبي تقاسيم وجهه الحادة. وقال بصوت معتدل لطيف:

ـ شكراً لك سيدة غودمان، سأتحدث إلى الآنسة ويسلر على انفراد.

وانسحبت مدبرة المنزل، وشبكت سامنتا يديها مترقبةً وقال لها بلهجة جافة كجفاف الصحراء:

ـ ابتعدي عن الخوف يا آنسة. فأنا لا أطلق النار على المسالمين.

ـ هذا لطف كبير منك... سيدي.

ووضع الملقط من يده، ثم مسح أصابعه بمنديله:

ـ انتبهي.. لا يحسبني الناس عادة سائقاً.

فردت عليه قبل أن تستطيع منع نفسها من الإجابة:

ـ أردتني أن أعتقد ذلك.

ـ لا يا آنسة ويسلر. لقد افترضتِ هذا دون أن أحتاج إلى الإدعاء. وانتبهي.. لقد كانت غلطة مفهومة.

ـ وتركتني على جهلي.

ـ لقد وجدت فيه بعض التسلية.

www.elromancia.com

ـ لقد قالت لي السيدة غودمان إنّك لا تحب التجسس.

ـ أستميحك عذراً؟

ولم تعد التسلية بادية على وجهه، وأخذ قلب سامنتا يخفق بسرعة، فقالت تدافع عن نفسها:

ـ حسناً.. هكذا بدا الأمر لي.

ـ أؤكد لك أنني لم أكن أتجسس، فليس عندي الوقت أو الميل لما تسمينه «التجسس».

وعلمت أنه يقول الحقيقة، وازدادت توتراً لغبائها وحماقتها وتابع مستوضحاً:

ـ لِمَ اعتقدتني عجوزاً، فمن المؤكد أن سمعتي العملية لا تشير إلى أنني هرم مقعد، فأنت تعلمين جيداً من أكون.

ـ بالطبع.. ولكن هواياتك وطريقتك في تنظيم الأمور البيتية وحبك للهدوء وكثرة التعليمات عما تحب أو تكره جعلتني أعتقدك هرماً إضافة إلى أنني لا أعرف إلا القليل القليل من الناس في المدينة كما أنني لا أترقب أو أقرأ النشرة المالية في الصحف والمجلات.

ـ أنا سعيد لسماع هذا.. الزمي إدارة المنزل آنسة ويسلر، فهذا يناسب النساء أكثر.

واحمرّت وجنتاها، وعضت على شفتها مانعةً إجابة حادة، ثم قالت:

ـ هل تريد استيضاح شيئاً محدداً عن حياتي؟

ـ لا.. فعندما التقينا منذ برهة قلت لي ما أريد معرفته.

ـ هل أستطيع الذهاب إذاً؟

ـ بكل سرور.

كانت تضع يدها على مقبض الباب لتفتحه عندما ناداها قائلاً:

ـ إذا وجدتك غير جديرة آنسة ويسلر، لن أستبقيك، أكنت تصنعين معروفاً للآنسة إيكنز أم لا.

ـ لا أتوقع منك الإحسان سيدي، بل الإنصاف فقط.

وانحنى فوق النار ثانية:

ـ أنا أحاول أن أكون منصفاً.

وعلمت أنه يصرفها بهذه الإيحاءة، فانصرفت.

وتوقفت قليلاً في الردهة، ونبضاتها تتسارع وكأنها كانت تصعد السلالم ركضاً.

من سوء طالعها أن تلتقي بالسيد غاريت بعد الظهر هكذا! فهذا سيضعها في مركز الدفاع، ومن الآن فصاعداً عليها أن تكون أكثر حذراً، حتى لا تثير غضبه. فسيكون من المؤسف، بعد أن تكبدت الصعاب للحصول على هذه الوظيفة، ألا تحصل عليها.

وكانت هذه الفكرة مؤلمة، وبقيت تلازمها طوال الأمسية، مما ساعدها في تخفيف النفور الذي أحسّت به تجاه هذا الرجل الذي يجلس وحيداً في مكتبته، مستغرقاً في عالم الموسيقى.

●●●

www.elromancia.com

٤ ـ مدبرة منزل كاملة

سافرت السيدة غودمان إلى كندا يوم الجمعة التالي، وتركت سامنتا أخيراً وهي تشعر أنها موضوعة تحت الاختبار.

كان قصر بارتهام مسؤولية ضخمة، لأنه كنز حقيقي فيه أثريات لا تحصى ولوحات لا تعد ولذلك فهو يعني الجنة للصوص. ولكن القصر جُهِّز خير تجهيز، فيه جهاز إنذار يتصل بمركز الشرطة المحلي، إضافة إلى ثلاثة كلاب ألزاسية تجوب الحدائق، يعتني بها أحد عمال الحدائق. ولكن سامنتا جعلت شغلها الشاغل أن تعرّف نفسها إلى الكلاب، وأصبح أحدها يلازم جانبها أينما ذهبت.

وأملت ألا يأتي مخدومها إلى الريف في أول عطلة أسبوع لها. ولكنه وصل في وقت متأخر من بعد ظهر يوم الجمعة، بعد أن اتصلت سكرتيرته لتخبرها أنه لا يطلب العشاء فأخذت سامنتا تجوب الغرف متوترة الأعصاب لتتأكد من وجود الأزهار في كل مكان، وتركت له براد قهوة وبعض السندويشات في غرفة نومه فيما لو شاء أن يتناول شيئاً.

بينما كانت تغادر غرفة الجلوس، صباح السبت، مستبدلة المجلات القديمة بأخرى جديدة، رأته، مرتدياً ثياباً عادية كالتي كان يرتديها أول مرة التقته. وقال لها بحدة:

ـ حسناً.. هل أنت متوترة الأعصاب لأنك أصبحت المسؤولة الوحيدة؟

ـ أبداً يا سيدي.

وجذبت أطراف ثوبها إلى الأسفل، ووقفت أمامه منتظرة كلامه. ولكنه لم يفعل بل تجاوزها مبتعداً وهو يهز رأسه قليلاً.

ولم يلتقيا ثانية ذلك النهار، مع أنها كانت تشعر بوجوده في المنزل. وتناول الغداء وحده في غرفة الطعام الضخمة، ثم خرج بعد ذلك ليتنزه في الحدائق. وعاد قبل موعد العشاء بقليل فتناول وجبة طعامه في مكتبته. وعندما خرجت لتنشق بعض الهواء النقي قبل الذهاب إلى فراشها، لمحت النور ينبعث من خلف ستائر النوافذ، وتملكها الفضول لتعرف سبب بقائه وحيداً علماً أن رجلاً في مثل مركزه له العديد من الأصدقاء.

صباح الأحد قضاه وحيداً أيضاً، فدهشت سامنتا لأنه لم يسأم بعد، أما هي فكانت تقضي معظم وقتها دون عمل فالخدم يقومون بعملهم خير قيام. تتحدث إليهم صباحاً ذاكرة بعض التعليمات ثم تشرف عليهم لاحقاً إشرافاً سريعاً، لتقوم بعد ذلك بجولة على المنزل لا تستغرق أكثر من نصف ساعة. وهي إلى الآن لم تجد شيئاً تتذمر منه. ولو أنها وجدته لأملت أن تجد الشجاعة لتذكره أمامه.

جلست مساء الأحد، تقرأ بعض الكتب التاريخية إذ تركت سنة الغياب عن الجامعة ذهنها صدئاً. وألزمت نفسها بمهمة إعادة قراءة العديد من كتبها. فوجدت أن من الصعوبة العودة إلى جو الدراسة، ولم تكن المرة الأولى التي تشك بصحة اختيارها هذا الفرع.

وفتحت الكتاب الضخم عابسة، ثم استغرقت بعد وقت قصير في قراءة تاريخ أوروبا والقرن السادس عشر، حيث أسر اهتمامها

الصراع على السلطة بين كرادلة إسبانيا وفرنسا، حتى أنها لم تشعر بأنها مراقبة إلى أن سمعت صوت كرسي جعلها تستفيق.

وكان السيد غاريت قد دخل غرفة جلوسها الخاصة واستند إلى كرسي ذي ذراعين، مرتدياً سترة مخملية رمادية فبدا بوجهه الأسمر وشعره الأسود، وكأنه أنموذج للوحات «انغر» الرسام الفرنسي الشهير. وشعرت بفضول يحثها على معرفة شخصيته أكثر فأكثر متسائلة أهو حقاً ارستقراطي حاد المزاج.

وأسرعت للوقوف ولكنه أشار إليها أن تبقى كما هي.

ـ لا تزعجي نفسك آنسة ويسلر، لقد أتيت إلى هنا لأنني سأغادر المنزل في الصباح الباكر وأريد أن أبلغك أنني سأقيم مأدبة، في عطلة الأسبوع القادم، لأربعة أو ستة أشخاص.

ـ حسن جداً يا سيدي، سأتأكد من أن يكون كل شيء جاهزاً.

ـ أحد المدعوين سيكون السيد الكسندر ايڤان وزوجته. وأرجو أن تحضري لهما الجناح الجنوبي، واتصلي بسكرتيرتي يوم الثلاثاء لتذكر لك أسماء المأكولات التي يفضلها المدعوون.

ـ أراجع دفتري الخاص أولاً، لأرى إن كان ضيوفك قد زارونا من قبل فأنا واثقة بأن السيدة غودمان قد سجلت ما يحبون وما لا يحبون.

ـ أجل. جيد جداً.

وانتقلت عيناه إلى الطاولة، ناظراً إلى الكتب دون أن يمد يده إلى أي منها، مكتفياً بقراءة بعض عناوينها قبل أن يتجه نحو الباب ويخرج. وأغلقت سامنتا الكتاب الذي كانت تقرأه، فلن تستطيع أن تركز عليه بعد الآن هذه الليلة، فقد أزعج دخول مخدومها صفاء تفكيرها.

ودفعت كرسيها إلى الخلف، ثم وقفت متجهة إلى الخزانة قرب

النافذة، وهناك وجدت الدفتر الذي تريده. وقد دوّنت عليه أسماء ومواعيد زوار المنزل، مرتبة ترتيباً ألفبائياً، ورأت أن عائلة ايڤانز من الزوار الدائمين.

وتمنت سامنتا لو أنها راجعت هذا الدفتر مع السيدة غودمان قبل سفرها. ولكن فات أوان التمني، وما عليها سوى الدعاء أن تكون المعلومات التي فيه صحيحة. وستكون محرجة فيما لو ارتكبت خطأ ما في أول حفلة تعدّها وتنظمها.

وأعادت الدفتر إلى مكانه، وذهبت إلى المطبخ لتعد لنفسها كوباً من الشوكولا، علماً أنّ إحدى الخادمات قد عرضت عليها أن تحضر لها الكوب كل ليلة إلى غرفتها، ولكنها رفضت.

وكانت تصب السائل في كوبها عندما دخل السيد هوارد، السائق الحقيقي وهو رجل ضئيل الجسم أنيقه، وجهه يلمع كأزرار سترته اللامعة. وكان من غير المعتاد رؤيته في المطبخ، لأنه عادة يبقى في مسكنه فوق الكراج.

ـ ثمة خطب سيد هوارد؟

ـ أنا بحاجة إلى ساعة منبه، لأن ساعتي قد كسرت.

ـ ألا يمكن لعاملة الهاتف الاتصال بك لتوقظك في الوقت المحدد.

ـ هاتفي داخلي يا آنسة.

ـ أعلمني بموعد استيقاظك لأطلب من أحدهم إيقاظك في الوقت المناسب.

ـ سنستيقظ باكراً جداً عند السادسة والنصف قبل استيقاظ أحد ما. فالسيد غاريت لديه موعد باكر في المدينة.

ـ في هذه الحالة، الأفضل أن تأخذ ساعة المطبخ، ولا تنسَ إعادتها صباحاً، سأراك في الصباح، لأنني سأعد فطور السيد

بنفسي. فالطاهية وزوجها سيبقيان في القرية الليلة، بسبب عيد زواج شقيقها العشرين.

ـ كان عليك إبلاغ السيد غاريت، فقد لا يحب أن تزعجي نفسك.

ـ ولِمَ لا؟ هذه وظيفتي.

وابتسم السائق شاكراً ثم مضى في حال سبيله. ولم تنم سامنتا تلك الليلة جيداً، خوفاً من الاستغراق في النوم. واستيقظت وارتدت ثيابها قبل أن يرن جرس الساعة بوقت طويل حيث كانت السماء مظلمة والنجوم متلألئة. لكن العصافير كانت قد بدأت بالزقزقة والتغريد وهي تنزل سلم الخدم قاصدة المطبخ.

ونظرت إلى ساعتها، فإذا هي السادسة تماماً. كان الصمت يلف المنزل كله، ولكنها عندما أرهفت السمع استطاعت سماع وقع أقدام على السلم المفروش بالسجاد، فعادت مسرعة إلى المطبخ، ووضعت البيض على النار ليغلي، وبعد أربع دقائق، حملت صينية الفطور الفضية إلى غرفة الطعام الخاصة.

وكان مخدومها يقف عند النافذة، يتأمل الحديقة وقد تسلل إليها الضوء ناشراً أشعته البيضاء السحرية مظهراً العشب الأخضر الندي.

ـ صباح الخير آنسة ويسلر. أين لوغان؟

ـ بقي وزوجته في القرية الليلة الماضية، فلديهما حفلة عائلية.

ـ إذاً أنت من حضّر الفطور؟

ـ نعم يا سيدي، لم أكن أعرف ما إذا كنت ترغب بشيء معين في مثل هذا الوقت الباكر.

ـ البيض سيكون كافياً، شكراً لك. ولكن لو أخبرتني عن لوغان ليلة أمس لقلت لك أن لا تزعجي نفسك بتجهيزه فأنا في مثل هذه الحال أكتفي بفنجان قهوة.

ـ إذا كان عليّ تحضير القهوة بنفسي فلِمَ لا أهيء لك فطورا لائقاً ما دمت قد استيقظت.

ودون أن تتوقع ضحك قائلاً:

ـ أحببت جملة «فطور لائق» التي تجعلك كمربيتي العجوز.

فقالت دون أن تفكر:

ـ أشعر وكأنني هكذا.

ـ حقاً؟

ومع أن الكلمة بحد ذاتها بدت سؤالاً، إلا أن لهجته دلّت على عدم الاكتراث وهذا وافقها تماماً إذ كيف ستفسّر له شعورها هذا. ونظرت بكراهية إلى أكمامها الطويلة التي تغطي ذراعيها بالسواد. واقسمت أن تخلعها لحظة اختفاء سيارته لترتدي شيئاً يكون أقل اسواداً وسألته:

ـ هل هذا كل شيء يا سيدي؟

وهزّ رأسه بالإيجاب، فخرجت، وأغلقت الباب بهدوء وحذر وراءها.

لقد كانت عطلة ناجحة بالنسبة لها فشكرت الله على عدم حدوث شيء خاطيء وتمنّت النجاح نفسه الأسبوع المقبل.

صبيحة الثلاثاء، اتصلت بسكرتيرته لتعرف تماماً أسماء الضيوف فأعلمتها بالأسماء التالية: السيد ايڤان وزوجته والسيدة فولروك من تكساس، واللابدي اشتون التي ستقوم بدور المضيفة.

يوم الخميس، وصل السيد موريس، الطباخ الفرنسي، من لندن. كان رجلاً صغير الجسم، يرتدي ملابس أنيقة ويقود سيارة رينو أفرغ منها سلال المؤن.

وفي غضون ساعة كان قد سيطر على المطبخ، ولم يكن السيد موريس طاهياً غريب المزاج، على الرغم من أنه جلب معه حتى

www.elromancia.com

سكاكينه الخاصة، فبعد أن راقبته سامنتا يعمل، أعجبت بعمله.

بعد ظهر يوم الجمعة، رتّبت سامنتا كل الزهور في المنزل. وكانت قد أمضت وقتاً طويلاً في قطفها. فالسيد غاريت يحب الزهور المقطوفة.

وما إن حلّت الساعة الخامسة عصراً حتى توجهت إلى غرفتها لترتدي ثوباً أسودَ خاصاً بالحفلات. وكانت تتمشى في الردهة عندما وصل أول الضيوف: السيد والسيدة فولروك.

ولم تكد توصلهما إلى غرفتهما حتى وصلت اللايدي اشتون، تقود سيارتها القديمة الصغيرة بنفسها. وهي امرأة في السبعين من عمرها، ودهشت سامنتا عندما علمت أنّ السيد غاريت هو ابن اختها. وقالت المرأة وهي تصافح سامنتا بحرارة وتصعد السلم إلى الغرفة المخصصة لها:

ـ إما أن يتزوج هذا الرجل بأسرع وقت لتأخذ زوجته دور المضيفة، أو أن يجد امرأة أخرى تحل مكاني... من سيحضر إلى هنا من الضيوف؟

فأخبرتها سامنتا، فقالت العجوز بسرعة:

ـ هل يبدو على عائلة فولروك الرغبة بلعب «البريدج»؟

ـ لا أستطيع الجزم.. ولكن السيد والسيدة ايڤان يلعبان بالورق.

ـ كارول لا تلعب الورق أبداً وهي هنا. إنها دائماً مشغولة مع ابن أختي. هل هناك غيرهم؟

ـ هم فقط يا سيدتي.

ـ حسناً، لقد أحضرت كتاباً يسليني.

ـ أنا واثقة بأنك ستجدين السيدة فولروك مسلية وودودة.

ـ كم عمرها؟

ـ حوالي الستين.

ـ هذا سيسعد كارول.. لأنها تصبح شريرة إذا ما وجدت من ينافسها.

وتحركت سامنتا نحو باب الغرفة، وضحكت اللايدي اشتون:

ـ أرى أنك لا تحبين القيل والقال، آنسة ويسلر. فأنت لا تبدين فقط مدبرة منزل كاملة. بل تتصرفين هكذا أيضاً!

واحمرّ وجه سامنتا، فاستدارت لتنظر إلى المرأة العجوز، حيث فاجأتها نظرة السعادة على وجهها النحيل، وأكملت اللايدي كلامها:

ـ وهل يعجبك العمل هنا؟

ـ أنا هنا فقط إلى أن ترجع الآنسة إيكنز لتستلم وظيفتها.

ـ هكذا قال لي ابن أختي. إنه يثق في قدرتك على النجاح في عملك وكما قال: «إنها أصغر سناً من الخبرة التي تقول إنها تمتلكها، ولكنها تبدو أكبر من سنها الحقيقي»!

وهربت سامنتا قبل أن تسمع المزيد من أقوال اللايدي الطائشة، وعلمت من رنّات ضحكاتها أنها كانت مسرورة بمداعبتها. وإذا كانت اللايدي ستتصرف بهذا الأسلوب مع الجميع، فقد تكون عطلة الأسبوع هذه مثيرة للاهتمام أكثر مما توقعت. ومع ذلك فلم تكن تصدق أن دايڤد غاريت قد يعتمد على امرأة زلقة اللسان كمضيفة له.

ولم يكن آل ايڤان قد وصلوا بعد. وعلمت سامنتا من لوغان أنهما عادة يصلان مع السيد غاريت في سيارته الرولز. وأضاف لوغان قائلاً:

ـ ثمة كلام عن دمج أعمال السيد إيڤان مع أعمال السيد غاريت وقد أمضيا الكثير من الوقت معاً في الشهور القليلة الماضية.

ووصل السيد غاريت عند السادسة والنصف من ذلك المساء،

www.elromancia.com

وكان الضيوف الآخرون في غرفة الجلوس، ووقفت سامنتا عند أعلى السلم مستعدة لمرافقة الوافدين الجدد إلى غرفهم.

ودخل اليكسندر إيڤان أولاً، رجل يصعب تكهن عمره ذو وجه أسمر وشعر خفيف. وتوقعت سامنتا أن تكون زوجته مثله، ولكنها أصيبت بصدمة، عندما رأتها باهرة الجمال تخطف الأبصار، ذات شعر قصير أسود أجعد، ينسدل قليلاً على جبهتها وفوق أذنيها الجميلتين. وكانت تبدو فرنسية غير أنها أطول من النساء الفرنسيات العاديات، وسأل دايڤد غاريت ضيفيه:

ـ أتحبان الصعود إلى غرفتكما أم تفضلان التعرف إلى آل فولروك؟ خالتي تعرفانها سلفاً.

وقال اليكسندر قبل أن تتمكن زوجته من الإجابة:

ـ أحب أن أتعرف إليهما، وهذا هو كل هدف عطلة هذا الأسبوع، أليس كذلك؟

وقالت كارول، جاهدة في مسح السخرية عن لهجتها:

ـ أنت تعلم هذا تماماً.

ورفع رأسه لينظر إليها، فقد كانت أطول منه بعدة انشات، فقالت كارول:

ـ سأذهب إلى غرفتي أولاً.

ثم نظرت إلى سامنتا وهي تقف في أعلى السلم، فسارع دايڤد ليقول:

ـ هذه مدبرة منزلي الجديدة، مساء الخير آنسة ويسلر، هل كل شيء على ما يرام؟

ـ أجل.. شكراً لك سيد غاريت.

وسارت سامنتا أمام المرأة، التي بدت تعرف موقع الغرفة، فدخلتها قائلة:

ـ إذاً لقد ذهبت السيدة غودمان أخيراً؟

ـ نعم، فابنتها ستلد قريباً.

وحدقت عينا كارول الزرقاوان بسامنتا قائلة:

ـ كم من الممل العمل مدبرة منزل طوال حياتك، هل أنت نمساوية آنسة ويسلر.

وقالت سامنتا بدهشة:

ـ لا.. ولمَ تسألين؟

ـ لأنك تبدين هكذا. ربما هذا بسبب ضفائرك ونوع ثوبك.

ـ أنا أرتدي ما هو عملي سيدة إيڤان، وليس لدي الوقت للتفكير في الأزياء.

ـ هذه حكمة منك. فالحياة أسهل إذا لم تفكري بكل هذه الأشياء.

ونظرت إلى حقيبتيها اللتين تفرغهما إحدى الخادمات، ثم سألت:

ـ ماذا حضّر لنا السيد غاريت لعطلة هذا الأسبوع!

ـ لست أدري..

وتذكرت في الوقت المناسب أن تضيف كلمة «سيدتي» ثم تابعت:

ـ أعتقد أن السيد فولروك سيمتطي الخيل غداً، ولكن...

فقاطعتها كارول:

ـ أوه.. أنا أفعل هذا دائماً عندما أكون هنا. كنت أتساءل ما إذا كان هناك شيء غير محاولات الليدي اشتون إشراكي في لعبة البريدج التي لا تنتهي.

ـ لقد ذكرت لي الليدي شيئاً عن لعب الورق.. إذا كان هناك شيء آخر تطلبينه سيدة إيڤان، أرجو أن تطلبيه من الخادمة.

www.elromancia.com

وكان كل ما تلقته من جواب تلويحة يد غير مبالية، لأن المرأة كانت مشغولة في تفحص وجهها في المرآة، وقالت للخادمة:

ـ حضّري لي الحمام، ثم اخرجي ثوبي الحريري الأسود.

وأحسّت سامنتا بالانقباض، ونزلت إلى المطبخ. فمن المسلي أن تمثل دور الهرمة أمام رجل، ولكن ليس الأمر مسلياً أبداً أمام امرأة جميلة جذابة في مثل سنها. ولكن العمر هو الشيء الوحيد المشترك بينها وبين كارول إيڤان، إذ هما على طرفي نقيض في الأوجه الأخرى.

●●●

٥ ـ عشاء مع السيد

أشرفت سامنتا على كل شيء بنفسها خوفاً من أن يفسد شيء ما عطلة الأسبوع، وكانت تعلم أن قلقها غير ضروري، ولكنها كانت مصممة على ألا تترك لمخدومها سبباً للتذمر من الطريقة التي تقوم بها بواجباتها. ولم يكن الأمر عائداً إلى رغبتها بالحفاظ على الوظيفة لكوليت بمقدار تصميمها على إثبات قدرتها وعدم إفساح المجال أمام مخدومها ليقول لها إنها ليست أهلاً للمسؤولية، وهو ما يتوق إلى تأكيده.

فرغم سنواتها العشر التي أضافها إليها مظهرها فقد ظل مقتنعاً بأنها غير كفوءة لهذا العمل، ولاحظته أثناء عطلة الأسبوع يراقبها، وتعبير فضولي يرتسم في عينيه وكأنه يجدها مثيرة للحيرة دون أن يعرف السبب.

بعد ظهر الأحد، غادر السيد والسيدة فولروك المنزل. وتبعتهما بعد وقت قصير الليدي أشتون، التي أعلنت أن ابن أختها لا يحتاج إليها لاستضافة أصدقاء مقرّبين كآل إيڤان، وردّت عليها كارول:

ـ لم يكن من الضروري أن يزعجك دايڤد أصلاً. فهو يعلم أنني سأكون سعيدة بتولي دور مضيفته.

ـ دايڤد يحرج فيما لو تولت زوجة رجل ما مهام الضيافة.

ـ يا له من متزمت!

www.elromancia.com

- من الجيد لك أن تتذكري هذا يا عزيزتي.

ولمعت عينا الليدي أشتون، وبقي اللمعان في عينيها عندما ذهبت إلى سامنتا في غرفة جلوسها الخاصة لتودعها قبل الذهاب.

- لقد أحسنت عملك يا آنسة ويسلر. واعتقدت أنك قد تسرّين إذا أخبرتك أن ابن أختي قد راقه عملك.

فردّت سامنتا قائلة:

- إنّ السيد موريس ولوغان هما من يستحقان الثناء.

- لا تكوني متواضعة هكذا! لقد نسقت الزهور بشكل جميل، كما جعلت طعام الأحد غيره يوم السبت.

- لقد كنت قلقة بشأن الأمر. ولكن شقيق البستاني، جاء من اسكوتلندا حاملاً معه سمك سلمون طازجاً وبدا لي من العار وضعه في الثلاجة!

- لقد كان السلمون رائعاً جداً.. والصلصة كانت وكأنها من غير هذا العالم.

- هكذا يجب أن تكون...

- لا تقولي لي إنّ موريس قد أعطاك أسرار طهوه؟

فضحكت سامنتا:

- في الواقع هذا من أسراري. لقد أعطيته الوصفة بنفسي!

وذهلت الليدي أشتون:

- لا تقولي إنّ الطهو فضيلة من فضائلك العديدة؟

فابتسمت سامنتا:

- نعم. هو كذلك.

- أنا واثقة بأن لديك العديد! وداعاً آنسة ويسلر. أنا أعلم أننا سنلتقي ثانية.

ولم يمضِ وقت قصير على ذهابها حتى دخل لوغان ليقول إنّ

عائلة إيڤان قد قررت الذهاب أيضاً

وما إن عادت سامنتا إلى غرفة جلوسها حتى أحسّت بالسعادة لسنوح فرصة الجلوس والراحة، سوف تأخذ إجازة في الغد وتذهب لرؤية والدها. فخلال أشهر مرضه أصبحا مقربين جداً وهي مشتاقة إليه. وهذا التقارب قد لا يكتب له الحياة ثانية وانقبض قلبها لهذه الفكرة، فلم تكن لتتصور ولو بعد مليون سنة أن يقع والدها في حب امرأة مثل مادلين. ولا بد أن الحب أعمى.. وفجأة ظهر لها طيف كارول واليكسندر إيڤان، الذي يبدو أنه يحب زوجته، من خلال الطريقة التي تلاحقها بها عيناه، ومن الطريقة التي تمتد بها يداه لتلمسانها كلما اقتربت منه. ولكن ما هو بيّن أيضاً أن دوافع كارول للزواج منه تختلف عن دوافعه، فالمال هو دافعها الأساسي. فالمال يمكنه شراء الثياب الغالية، والمجوهرات الرائعة، أما الحب...

وأخرج رنين الجرس الحاد سامنتا من أفكارها وكانت المرة الأولى التي طلبها السيد غاريت مباشرة. وأسرعت إليه فرأته في غرفة الطعام الصغيرة، يحدّق إلى الطاولة المليئة بالطعام، وقال لها على الفور:

- الشيء الوحيد الذي لم تخبرك به السيدة غودمان، أنني أكره أن «أُعلف» مثل ديك رومي يُعد لعشاء عيد الميلاد! لأجل السماء، خذي نصف هذا الطعام من هنا.

وأسرعت سامنتا لتفعل ما طلبه، فقال بانزعاج:

- ليس أنت آنسة ويسلر. هذا عمل لوغان.. لماذا لم يأتني عندما استدعيته؟

- لقد خرج لقضاء الليل في الخارج.

- يجب أن لا يخرج وأنا موجود هنا. اللعنة على كل شيء. إنه لا يفعل شيئاً طوال الأسبوع عندما أكون في المدينة!

www.elromancia.com

ـ إنها غلطتي يا سيدي. لم يكن يريد الذهاب، ولكنني أصريت عليه.

ـ كان عليه ألا يخرج، فلقد مضى عليه زمن طويل معي ويعرف ما هي الخدمات التي أريدها.

التعليق كان مبرراً، رغم أن الانتقاد لم يكن كذلك، لأنها لامت نفسها على غياب الخادم. ولكن عندما حاولت قول هذا قاطعها قائلاً:

ـ لقد أوضحتِ وجهة نظرك.

وأخذ يراقبها وهي تزيل بعضاً من الطعام، وتابع كلامه فجأة:

ـ أعتقد أنك سترمين هذا. أنا أكره خسارة الطعام.

ـ لن تخسره بوجود كل العاملين هنا.. سأعود بعد قليل لآخذ المزيد.

ـ لا.. ضعيه في مكانه!

وأخذت تحدق إليه فتقدم وأخذ الصينية منها قائلاً:

ـ إنها ثقيلة كالرصاص. لا تحمليها ثانية.

ـ أردت إبعادها عن طريقك.

ـ هل أنت خائفة مني كما يبدو عليك آنسة ويسلر؟

وتلاشى التوتر من صوته وبدت التسلية على صوته الناعم فردّت عليه ببرود قائلة:

ـ هناك فرق بين الخوف من المخدوم والرغبة في إسعاده.

ـ حسناً.. ستسعدينني إن جلستِ معي وشاركتني الطعام.

وبقيت واقفة، غير متأكدة أنها سمعته بشكل صحيح، فقال لها بنزق:

ـ اجلسي.. أم تريدينني أن أمسك لك الكرسي؟

واحمرّ وجهها، وجلست على كرسي وجلس قبالتها على الفور.

ـ خذي بعض اللحم آنسة ويسلر.. أنا واثق بأنك لا تريدينني أن أقدم الطعام الذي ربما قد طهوته أيضاً.

ـ السيد موريس طهاه.

ـ هذا جيد.. حسبتك قد أرسلته ليستريح هو أيضاً. أخشى أن يأتي يوماً تكونين فيه قد أرسلتِ الجميع في عطلة طويلة!

ـ لقد ذهب لوغان ليحضر زوجته، وأنت تجعل الأمر يبدو وكأنه ذهب في رحلة حول العالم!

ـ يجب أن تعلمي أنني عندما أدفع للناس أجورهم، أتوقع منهم أن يكونوا هنا ليقوموا بعملهم. وأنا لم أتهم قطُّ بأنني أعامل خدمي كعبيد، الأمر الذي يلمح إليه اهتمامك بهم!

وارتعدت سامنتا لأن عملها قد أسيء فهمه:

ـ أوه لا! المسألة أنني لا أجد من الضروري رهن كل العاملين في سبيل خدمة رجل واحد... أوه يا إلهي... لقد أخطأت القول حقاً.

ـ لقد دخلت الفخ بقدميك. هل أنت شيوعية؟

ـ بالطبع لا! أقصد أنني لا أحب أن يضيع وقت الناس هباء.

ـ إن العاملين عندي يعلمون أنهم لا يضيعون أوقاتهم وخاصة وهم يتلقون أجراً جيداً لعمل غير مضن، ولم لم يعجبهم لما بقوا هنا. وهل تحسبين وقتك يضيع أيضاً هباءً.

ـ لا يا سيدي، لدي أعمالاً كثيرة تشغلني.

ـ تقصدين الأعمال التي تتعلق بقراءتك تلك الكتب التي تملكينها بالدزينة.

ـ أنا أتمتع بالقراءة.. إنها تمنعني من...

وأكمل لها الجملة:

ـ تمنعك من الضجر حتى الموت؟

www.elromancia.com

ـ لم أقل هذا.

ـ يا آنسة ويسلر تعبيرات وجهك تفضحك أحياناً! فرغم كونك امرأة تجيد السيطرة على أعصابها إلا أنك امرأة شفافة للغاية.

وتساءلت متى سنحت له فرصة دراستها، وأجاب عن سؤالها عندما تابع كلامه:

ـ لقد راقبت تصرفاتك مع ضيوفي، فقد عاملت كل واحد بأسلوب مختلف وهذا يذكرني أن كارول قد تركت لك هذه.

ثم أخرج خمس جنيهات وأعطاها إياها، فاحمرّ وجهها فوراً.

ـ أنا لا أقبل العطية من أحد يا سيدي.

ـ ولكن العاملين يفعلون هذا، ولذلك هم يحبون الحفلات التي أقيمها.

وتمنّت لو أنها تخبره عن أصل عائلتها. فهو يعرف أنها إنما تعمل مؤقتاً مكان الآنسة إيكنز، ولا بد أنه تساءل عما كانت تفعله قبل ذلك ثم فكرت أن آخر أمر قد يكترث به رب عملها هو ماضي مدبرة منزله وأصلها. وسألها:

ـ هل تريدين إعادتها إلى السيدة إيڤان؟

ـ سيكون هذا أمراً فظاً.

وأخذت المال منه ووضعته في جيبها.

ـ أنا سعيد لأنك لا تنوين دسّه في المشد لتخفيه.

فردّت عليه ببرود قائلة:

ـ أنا لا أرتدي مشداً. لقد مضى زمنها.

ـ وزمن هذا الثوب الذي ترتدينه أيضاً.

ـ لقد كانت السيدة غودمان ترتدي الأثواب نفسها.

ـ السيدة غودمان تكبرك بثلاثين سنة على الأقل.

إذن ما زال يظنها امرأة في الثلاثينات من عمرها.

ـ سأكون سعيدة جداً بارتداء نوعاً آخر من الثياب الرسمية يا سيدي.

ـ لا أريدك أن ترتدي ثياباً رسمية فأنت في منزل لا في مؤسسة.

ـ وهل أستطيع ارتداء ألواناً أخرى؟

وهز كتفيه دون اكتراث وكأنه ضجر من الحديث، ثم أمسك بشوكته وتابع تناول طعامه. وفعلت سامنتا الشيء نفسه. شهيتها عادة ما تكون جيدة، ولكنها اختفت هذه الليلة، وما من شك أن هذا عائد إلى وجود هذا الرجل أمامها. ولكنه إنسان مثلها تماماً. ومن السخف أن تترك ثراءه ومركزه يحولانها إلى كتلة من الأعصاب المشدودة، ولا تستطيع تصور والدها يوافق على هذا، فسيظن أنه مضيعة لموهبتها وعلمها، وزوجة أبيها لن توافق أيضاً، وابتسمت لتفكيرها بمادلين، فسألها:

ـ لماذا تضحكين؟

ـ أنا.. إنه.. أمر شخصي.

ـ أنا سعيد لأن لديك أمراً شخصياً تفكرين به. تبدين متحفظة، وكنت قد بدأت أتساءل ما إذا كان لديك أفكار شخصية مستقلة.

ـ وهل تحكم دائماً على الكتاب من غلافه؟

ـ إذا كان كتاباً نسائياً. فجنسك اللطيف يهتم دائماً بالمظهر أكثر من المحتوى!

ـ سأشتري ثوباً صيفياً يوم عطلتي، وعندما تعود في الأسبوع المقبل لن تجدني ألبس الأسود.

ـ قد أذهب إلى «دوڤيل» في الأسبوع المقبل مع السيد والسيدة إيڤان.

ثم تابع قائلاً:

ـ خالتي أعجبت بك.

www.elromancia.com

- وأنا أحببتها. مع أنها لم تكن كما توقعت.
- وماذا توقعت أن تكون؟
- عندما سمعت أنها قادمة لتكون مضيفتك.. ظننت أنها.. تصورت أنها قد تكون... لم أكن أعلم أنها خالتك.
- أنا لا أسمح أبداً لصديقتي أن تمثل دور المضيفة. فهذا قد يعطيها فكرة خاطئة.
- فكرة خاطئة؟
- فكرة الزواج وهو ما لا أهتم به.
- وهل تنوي البقاء عازباً طوال حياتك؟
- لا بالطبع. فأنا أرغب بالأطفال، فمن سيرث كل هذا؟
وأشار بيده إلى ما حوله وتابع..
- لكن السّيىء في المسألة أن الإنسان يصبح أسير الزواج.
- وهل تعتبر الزواج أسراً.
- نعم بالفعل، وأعتقد أنه لا داعي لأسألك السؤال ذاته. فمعظم النساء ينظرن إلى الزواج على أنه غاية آمالهن ووجودهن.
- لأجل السماء!
وتمالكت أعصابها ثم قالت:
- أنا آسفة سيد غاريت لم يكن يجب أن أقول هذا.
- لا تعتذري آنسة ويسلر، أنت تتناولين العشاء على مائدتي، ولا سبب يمنع من أن نتحادث على قدم المساواة.
- لا يمكننا أن نكون متساويين سيد غاريت، فلك طريقتك في الحياة ولي طريقة أخرى، فأنت كرّست نفسك لجمع المال دون أن تأبه لشيء آخر.
- وهل تجدين أن من الأنسب قضاء الوقت في باحات جامعة اوكسبريدج مكرساً وقتي للجدل المؤسف مع زملائي العلماء؟

فانفجرت ضاحكة دون أن تقصد ذلك، فنظر إليها مستغرباً، وما إن أحسّت بنظرته حتى توقفت، وشغلت نفسها بجمع الأطباق، فسألها ببطء:
- هل كنت دائماً مدبرة منزل؟
- لقد أدرت المنزل دوماً، لقد توفت والدتي عندما كنت طفلة وكنت أعتني بوالدي.
- وما هي مهنة والدك؟
وتظاهرت بأنها لم تسمعه، وسألته:
- هل تريد قهوتك الآن سيد غاريت أم فيما بعد؟
- الآن.. وصبّي فنجاناً لك.
وجلس بهدوء يرتشف القهوة، وقد ظهرت عليه ملامح الإعياء وكيف لا وقد نقل نفسه من العمل في المدينة إلى عمل آخر في الريف وهو استقبال الناس والعناية بهم. وعندما أرادت أن تكلمه بشأن إرهاقه عادت فمنعت نفسها عن ذلك، إذ لا يحق لها أو لغيرها الحديث معه بهذا الخصوص. خاصة وهو رجل محب للوحدة، قانع بها.
- حتام ستبقى صديقتك مريضة آنسة ويسلر؟
- أتعني كوليت؟ آمل أن تستطيع المجيء إلى هنا بعد شهرين، وربما قبل ذلك الموعد.
- وهل لديك وظيفة أخرى؟
- ليس قبل أيلول.
- وهل هي قريبة من هنا؟
- ليست بعيدة كثيراً.
- يبدو أنك تحبين هذه المنطقة.
- لقد عشت فيها طوال حياتي. أين ولدت أنت سيد غاريت؟

www.elromancia.com

ـ في هذا المنزل.. أنا لم أكن ثرياً طوال حياتي، فقد عشت في هذا البيت الفقير الخالي من العيوب.

ـ ولكنه قصر يا سيدي.

وأخذت تتأمل ما حولها، ففهم مقصدها وقال:

ـ المنزل كان كل شيء نملكه، فقد أودت الحرب العالمية بحياة رجال العائلة كلها، وقد شلت واجبات الوفاة قدرة والدي مما جعله يبيع المنزل فانتقلنا إلى لندن وكنت آنذاك في السابعة من عمري.

وبدت عليها صدمة لم تستطع إخفاءها:

ـ ولكن كيف استطعت.. أعني.. أنك...

ـ لقد عملت جاهداً حتى استعدت ثروة عائلتي فاشتريت المنزل مجدداً عندما عرض للبيع.

ـ هذا من حسن حظك إنه مكان جميل. ولا أعتقد أن هناك من يحب بيعه.

فضحك ثانية، ولمعت أسنانه البيضاء عاكسة لون وجهه الأسمر، وبدا وكأنه إيطالي الأصل.

ـ عندما اشتريت «هارينغتون هولدينغ» كان هذا المنزل ملكاً لرئيس مجلس إدارة الشركة. كنت أنوي على الدوام تغيير الأثاث.. ولكنني لم أجد الوقت لهذا بعد.

ـ قد تفعل ذلك زوجتك.

ـ أو مهندس الديكور الأقل كلفة.

وابتسمت سامنتا لروحه المرحة.

ـ وما هي طموحاتك الآن سيد غاريت، أم أنك حققت كل ما تطمح إليه؟

ـ وهل يحقق الإنسان أبداً ما يطمح إليه؟

وفكرت بوالدها، القانع بكتبه وزواجه الثاني، ثم تمتمت:

ـ أظن هذا، بعض الناس يقنعون.

ـ أتمنى لو أكون واحداً منهم، ولكن لسوء الحظ أنا قائد ومقود.

ـ لم أفهم قصدك.

ـ أقصد أن العمل يقودني وأنا أقود الناس إليه.

ـ ألم تتمكن أبداً من الراحة؟

ـ منذ زمان طويل كان بإمكاني ذلك أما الآن فلا، مع أن الأمر ممل، وأنا أقوم بعملي لأنني ضجر آنسة ويسلر.

ـ ألافتقارك إلى الموارد الدّاخلية في نفسك يا سيد غاريت؟

ـ لديك تعابير جادة آنسة ويسلر!

وذكّرتها كلماته بمركزها، فوقفت سائلة:

ـ هل تريد فنجاناً آخر من القهوة يا سيدي.

فهز رأسه رافضاً:

ـ إذاً، أرجو أن تعذرني.

ـ عذراً لأنني أخرتك.

ونظرت إلى ساعتها لتجد أنها تقارب الحادية عشرة. لقد مضى الوقت دون أن يلاحظاه، وقال لها:

ـ ستتصل بك سكرتيرتي لتعلمك إذا كنت سآتي إلى هنا في الأسبوع القادم.

وحيته تحية المساء وهي تتجه إلى الباب خارجة. وتوجهت نحو غرفتها. وخلعت نظارتها المعدنية، ثم أزالت الدبابيس عن رأسها لينسدل شعرها البني فوق كتفيها، كستارة مخملية. غداً ستذهب إلى البلدة لتشتري فستاناً لها غير هذا الأسود الكئيب.

وجنحت أفكارها إلى كارول إيشان، وإلى ثيابها الفخمة، فاليكسندر ثري جداً وبإمكانه دفع ثمن كل ما تشتريه. ولكن مال العالم كله لا يساوي أن تقضي امرأة حياتها مع رجل لا تحبه. وكم

www.elromancia.com

من المؤسف أن يعتقد السيد غاريت أن النساء جميعهن يفكرن بطريقة تفكير كارول.

●●●

٦ ـ من أنتِ؟

توجه دايفد غاريت إلى دوفيل في الأسبوع التالي، فورد هذا الخبر في عواميد الإشاعات في صفحة المختصرات المصغرة التي يقرأها السيد لوغان كل صباح. يرافق الخبر صورة له ولكارول إيفان مع تعليق يلمّح إلى أنهما ذاهبان لقضاء عطلة الأسبوع ولم يغفل التعليق ذكر السيد اليكسندر الذاهب معهما أيضاً، والذي وصفته الصحيفة بالاسترالي النحيل. فعلّقت السيدة لوغان:

ـ ليس لديه لكنة أوسترالية.

فردّ زوجها وهو يهز رأسه قائلاً:

ـ لأنه قضى معظم حياته بين لندن وكندا حيث تعرّف إلى زوجته.

وقطبت السيدة لوغان وهي تمعن النظر في صورة كارول:

ـ لنأمل أن تبقى زوجته.. فلن يعجبني أبداً أن تكون سيدتي هنا.

وارهفت سامنتا أذنيها ولكنها عادت فنهرت نفسها عن الاستماع للقال والقيل. ولم يهدأ فضولها إلى أن تابع السيد لوغان الحديث:

ـ إذا كان السيد غاريت قد نجح في تجنب الزواج حتى الآن، فإنه لن يقع في حبائل السيدة إيفان.

ـ صديقاته الأخريات لم يكن مثلها. إنها امرأة مصممة جداً.

www.elromancia.com

ـ وكذلك زوجها . . إن له عيني صقر لا تفارقانها أبداً .

ـ لا عجب من ذلك، فكل من يتزوج امرأة تصلح أن تكون ابنة له يعاني مشاكل جسيمة .

وأجاب الخادم محتجاً :

ـ لقد ذكر السيد إيڤان منذ أيام أنهما عاشا سعيدين مدة ثماني سنوات .

ـ لن يستمر هذا لثمانية سنوات أخرى، خاصة بعد أن التقت بالسيد غاريت .

وأقفلت سامنتا دفتر الملاحظات بقوة، لقد دخلت إلى المطبخ لتسجل ما يحتاجه المنزل من مؤونة لتقوم بطلبها، ووجدت أن من الأفضل وضع حد لهذا الحديث . وفهمت السيدة لوغان الإشارة فدخلت مسرعة إلى غرفة المؤونة حيث أمضتا ساعة في تحديد ما تحتاجان شراءه .

وعندما قصدت بيت والدها ذلك اليوم راحت تتساءل عن صحة تلك الإشاعات التي تفوهت بها السيدة لوغان بشأن كارول والسيد غاريت .

التفكير بمخدومها ذكرها بأنها وعدته بارتداء ثياباً أكثر بهجة، فذهبت إلى البلدة، واشترت، مكرهة فستاناً مشجراً ذا منظر قبيح . . ماذا سيقول يا ترى عندما يراها فيه؟ وارتسمت ابتسامة على فمها، وكانت مستغرقة جداً في أفكارها، عندما اصطدمت برجل يخرج من محل بيع صحف . فصاح الرجل :

ـ سامنتا! لقد كنت أحاول الاتصال بك منذ خمسة عشر يوماً، أين كنت؟

وكان الرجل روبن برايمروز، شاباً متخصصاً في علم الاجتماع في الجامعة تعرفت إليه عن طريق والدها، وهو منذ ذلك الوقت

يلاحقها غير آبه برفضها له .

فقال لها :

ـ لقد قالت لي زوجة أبيك إنك تعملين عند دايڤد غاريت . فهل يعني هذا أنك لن تسعي لنيل إجازتك الجامعية .

ـ بالطبع لا، لقد قبلت بالوظيفة لبضعة أشهر فقط .

ـ اخبريني عن ذلك ونحن نتناول القهوة .

وما إن عادت سامنتا إلى القصر، حتى توقفت دهشة لمشاهدتها أبواب الكراج مفتوحة والرولز اللماعة في داخله . وخطت خطوة باتجاهها ثم تراجعت شاهقة . فقد كان شعرها منسدلاً حول وجهها مرتدية ثيابها الخاصة . وإذا رآها أحد هكذا فستنتهي لعبتها، وأحنت رأسها وهي تسرع إلى غرفتها، ولم تلتقط أنفاسها إلا بعد أن أصبحت داخلها . فعندما غادرت منزل والدها اضطرت إلى البقاء بثيابها العادية على أن تبدلها في محطة القطارات، ولكنها عدلت عن ذلك لعلمها أن مخدومها لا يأتي قبل يوم الجمعة، ولأن أحداً لن يراها .

وبيد مرجفة وضعت مااشترته على السرير، وفكّت أزرار سترتها، وأقسمت ألا تخاطر مرة ثانية . يجب عليها أن تغادر القصر وتعود إليه الآنسة ويسلر التي تعوزها الأناقة في الملابس .

وجدلت شعرها بسرعة وثبتته بالدبابيس حول رأسها، ثم مسحت الزينة عن وجهها . وفتحت الكيس الذي اشترته، وأخرجت الثوب منه، ثم ارتدته مسرعة . . يا لشكله المخيف! اللون الزهري واللون الأصفر يتصارعان معاً على أرضية بنية بلون الوحل . أما أكمامه فواسعة تصل إلى الكوع، تنورته واسعة حتى أنها اضطرت إلى لفها على خصرها، فبدت منفوخة مما زاد بضع انشات على استدارة وركيها .

ونزلت إلى المطبخ وهي تحافظ جاهدة على رباطة جأشها أمام نظرات السيدة لوغان المستغربة.

ـ لقد ارتديت ثيابك الصيفية يا آنسة ويسلر؟

ـ لقد اشتريته بالأمس.. إنه جميل جداً.. أليس كذلك؟

وسيطرت المرأة على تعبيراتها، ونظرت إلى سامنتا نظرة إعجاب:

ـ أجل يا عزيزتي.

قد يسهل عليها خداع السيد غاريت ولكن من الصعب خداع من تراه يومياً، خاصة هذه السيدة ذات النظرة الثاقبة التي ترى المرأة المستترة خلف هذا الشعر المعقوص والثياب الواسعة. ولكنها حمدت الله على لطف الخدم وعدم فضولهم إذ امتنعوا عن طرح الأسئلة التي تجول في خاطرهم.

وقالت سامنتا:

ـ لو أعلمنا السيد غاريت بحضوره لعدتُ البارحة.

ـ لقد وصل هذاالصباح.

ـ وحتام سيبقى؟

ـ أعتقد أنه سيبقى ليلة واحدة.

ـ الأفضل أن أذهب لأرى ما إذا كان بحاجة إلى شيء.

وخرجت من المطبخ بحثاً عنه.

عتمة نيسان الباكرة، كانت قد لفّت المنزل، وأُضيئت الأنوار على الجدران لتخفف عتمه ألوان المفروشات وورق الجدران، وشاهدت السيد لوغان يحضّر الطاولة في غرفة الطعام الصغيرة، وعندما شاهدها أشار إلى المكتبة.

قرعت باب المكتبة، وعندما أمرها السيد غاريت بالدخول دخلت. وكان يقف قرب النافذة، يتأمل الحديقة. فقال دون أن

يلتفت:

ـ لا تزعج نفسك بإغلاق الستائر يا لوغان، سأفعل هذا بنفسي فيما بعد فأنا أحب ساعة الغروب.

ـ أنا لست لوغان يا سيد غاريت، بل الآنسة ويسلر.

واستدار لينظر إليها، فلم تستطع رؤية وجهه الذي حجبه الظلام ولكنها لاحظت كتفيه المتشنجتين عندما لاحظ مظهرها. أما صوته فكان كالعادة رقيقاً، هادئاً بخلاف طباعه ومظهره. فتساءلت: أيحافظ عمداً على هذا الصوت الهادىء أم أنه جزء زائف منه؟ ولكن لماذا تعتقد أن فيه جزءاً زائفاً؟ أو يحتاج إلى ذلك وهو الغني الثري القادر على أن يفعل ما يشاء، عندما يشاء، دون أن يعبأ بما يقوله الآخرون. وقالت له:

ـ لقد أتيت لأرى إذا كنت تطلب شيئاً سيدي. لم نكن نتوقع قدومك قبل نهاية الأسبوع.

ـ لقد كان يوماً جميلاً فكرهت البقاء في المدينة. وإذا استمر الجو لطيفاً فربما أعود غداً أيضاً.

ـ ألا ترهقك المسافة يا سيدي؟

ـ أقطع المسافة في وقت قصير على الطريق العام الرئيسي، وبوجود التسجيل والهاتف في سيارتي لا أُضيع أي وقت.

ثم تابع:

ـ أنا سعيد لأنك اتّبعتِ نصيحتي.

وكانت مشغولة بأفكارها فلم تفهم قصده:

ـ نصيحتك بشأن أي أمر؟

ـ بشأن شراء ثوب جميل.

وعلمت أنه يكذب، ولكنها قررت أن تأخذ كلامه كما هو.

ـ إنه جميل.. أليس كذلك؟ وأنا سعيدة لأنه أعجبك يا سيدي.

www.elromancia.com

ـ لقد أعجبني فعلاً آنسة ويسلر، فالزهور فيه تناسب شخصيتك.

خلال أيام الأسبوع، عندما يكون المنزل خالياً من مخدومها، كانت تفرض على نفسها القيام بجولة على جميع الغرف للتأكد من إقفال النوافذ. علماً أن هذا العمل جزء من عمل لوغان ورغم ذلك كانت تشرف عليه بنفسها خوفاً من أي مكروه قد يحدث.

ذلك المساء فعلت الشيء نفسه بشكل آلي. وكانت تخرج من غرفة الجلوس عندما برز مخدومها من مكتبته.

ـ ماذا تفعلين آنسة ويسلر؟

ـ أتأكد من إقفال كل النوافذ.

ـ عندما يكون جهاز الإنذار عاملاً، فمن الأفضل تركها مفتوحة.

ـ ألن يكون هذا تشجيعاً للصوص؟

ـ ولكنها إنذارات تخيف الشياطين في مراقدها!

ـ هل سمعت صوت هذه الإنذارات قبل الآن؟

ـ لا.. وأتمنى أن لا أسمعها. فلدي حساسية ضد اللصوص. فقد اقتحم لصوص منزلنا في إحدى الليالي عندما كنا في الخارج فنهبوا كل خزانة وقلبوا كل درج على الأرض وعبثوا بكل ملابسي.

ـ لا بد أن ثيابك قد أفزعتهم.

ونظرت إليه بذهول، ورأت اللون يتصاعد إلى وجهه، فقال:

ـ سامحيني آنسة ويسلر، ما كان يجب أن أقول ذلك.

ـ أنا آسفة لأن ملابسي لا تروقك. ولكنني لم أكن أعلم أنها من متطلبات عملي.

ـ أوه.. هيا الآن... كنت أظن أن المرأة يسعدها اهتمام الرجل بمظهرها.

ـ أنا أرتدي ما أستطيع تحمل شراءه.

قالت هذا بنعومة، ورفعت رأسها قليلاً، ثم سارت في الممر إلى

جناح الخدم.

غادر دايفد غاريت المنزل قبل السابعة من صباح اليوم التالي. وكان لوغان يخدمه هذه المرة، ولم تظهر سامنتا في غرفة الجلوس إلى أن سمعت الرولز تنطلق مبتعدة، ولم يكن أمامها عمل تقوم به، فارتدت ثياباً تناسب الطقس المشمس، وأخذت بضعة كتب وخرجت لتجلس في حديقة الورود.

استغرقت في قراءتها، ولم تدخل المنزل حتى بدأت أشعة الشمس تخبو. وكانت لا تزال في غرفة نومها عندما سمعت سيارة تلج الطريق الخاص بالمنزل، وتقدمت من النافذة لتحدق إلى الخارج.. أجل إنها الرولز، لقد عاد السيد غاريت أبكر مما كانت تتوقع. وبسرعة خلعت ملابسها وارتدت ثوبها المخيف. وكانت تضع يديها على أعلى الثوب عندما قرع الباب. فقالت:

ـ من الطارق؟

وردّت عليها الخادمة الدنماركية:

ـ أنا ايما.

ودخلت وهي تحمل صندوقاً:

ـ هذه لك آنسة ويسلر، من سيدي.

ـ لي أنا؟

وأخذت سامنتاالصندوق، كان عليه طابع محلات فورتون ومايز، ومع أنه كبير الحجم إلا أنه كان خفيف الوزن.

ـ يمكنك الذهاب الآن يا إيما.

وانتظرت إلى أن خرجت الخادمة وأغلقت الباب، وفتحت الصندوق.

وبحذر، فتحت الأوراق الناعمة، وأخرجت ثوباً أخضرَ فضياً من الكريب الفرنسي الرائع، وحدّقت إليه دهشة، ولكنها لم تلبث أن

www.elromancia.com

ضحكت ثم أسرعت لترتديه.

كان الثوب واسعاً فقد أوهمت ملابسها التي ترتديها السيد غاريت فجعلته يعتقدها أكثر امتلاءً فاشترى لها الثوب على هذا الأساس وحمدت الله على ذلك فلو وافق هذا الثوب مقاسها لافتضح أمرها وبان خداعها. كان ثوباً جميلاً ذا خياطة رائعة ومظهر ساحر. لونه يناسبها تماماً، أكمامه واسعة طويلة، لكنه بدا رديئاً كونه واسع جداً ثم تعمدت أن ترخي الحزام ليبدو أكثر سوءاً.

وأخذت تضحك، ثم ارتدت جواربها السوداء السميكة، ونظارتها القديمة الطراز. ثم نزلت إلى الطابق الأرضي لتشكره على هديته. وكانت تأمل صادقة أن تكون هدية، فلو اضطرت إلى دفع ثمنه لأفلسها مدة شهر، وقال لها بعد أن وجدته في المكتبة:

ـ بالطبع هو هدية، ظننتك ستدركين الأمر.

ـ لم أعتد تلقي الهدايا من مخدومي.. وهذا لطف كبير منك يا سيدي.

ـ لقد فعلت هذا لأسعد نفسي.. لا لأسعدك.

ـ ما الأمر؟ ألم يعجبك؟

ـ ليس بالقدر الذي كنت أتوقعه، هناك شيء خاطئ فيه.

وكان ينظر إلى الثوب بانتباه كبير فتوقعت أن يدرك العلة. لذا أسرعت خارجة.

ـ إلى أين أنت تذهبين؟

ـ إلى المطبخ.

ـ لا تذهبي.. كيف كان هذا اليوم؟

ـ جميل جداً.. كنت في الحديقة طوال بعد الظهر.

ـ لا تقولي إنك تجيدين العمل في الحدائق أيضاً؟

ـ لم أكن أعمل هكذا، بل أقرأ.

ـ أحد كتبك العجيبة؟

فصححت له معلوماته ببرود:

ـ إنه كتاب تاريخ.

ـ ألا يمكن أن تجدي لنفسك شيئاً أكثر قبولاً من قصة حياة القدماء؟

ـ أنا أتمتع بقراءة التاريخ يا سيدي، ومن الواضح أنك لا تحبه.

ـ أنا مهتم بالمستقبل أكثر من الماضي.

ـ معرفة الماضي تساعد الإنسان على معرفة ما قد يكون عليه المستقبل.

ـ أتعنين أن الحياة دائرة وأن التاريخ يعيد نفسه؟

فهزت رأسها وتابع:

ـ أخشى ألا أكون ممن يدعمون هذه النظرية يا آنسة ويسلر، فلا شيء يبقى كماهو، كل شيء يتغير.

ـ ولكن الناس لا يتغيرون. فهم يستمرون في ارتكاب نفس الأخطاء.

وقطب جبينه، فانزلقت نظارته على أنفه، فدفعها إلى الخلف.

ـ أنت محقة بهذا يا آنسة ويسلر.. فالفهود لا تغير ترقيط جلدها أبداً!

ـ لا أحب تشبيه الناس بالحيوانات يا سيدي.

ـ وأنا أيضاً أؤيد قولك فالحيوانات أكثر لطفاً.

ـ إن لم تحسن اختيار الأصدقاء فقد تكون الحيوانات كما قلت، أفضل.

ـ أفهم من هذا أن أصدقائي لا يعجبونك؟

ـ لم أفكر بهم كثيراً يا سيدي.

وتحركت نحو الباب بخطوات مصممة عرفت أنها ستجعله يفكر

www.elromancia.com

مرتين قبل أن يستدعيها لتعود. بعد تناول العشاء مع السيدة لوغان في غرفة جلوسها الخاصة، وجدت نفسها غير قادرة على البقاء داخل المنزل، فارتدت معطفها وخرجت للتريض قليلاً.

وتركت الطريق الخاصة لتسير فوق العشب إلى أن وصلت إلى حزام من الأشجار يبعد ربع ميل عن المنزل. وكان الهلال يستقر في كبد السماء. فبدا الاسوداد موشحاً بلون فضي جاعلاً الأشجار تبدو وكأنها هياكل ضخمة والأغصان وكأنها أذرع ملتوية.

اتجهت إلى النهر وبينما هي في بعض المسير إذ سمعت صوت طقطقة غصن، فتوقفت. وهي تحسبُه حيواناً انزعج من وجودها، وعاد الصوت ثانية، فظنته لصاً أو مجنوناً يلاحقها، فالتفتت إلى المنزل فإذا به بعيد عن الأنظار ولكن أنّى لها الاختباء؟ فأطلقت لساقيها سبيلهما علها تصل إلى القصر، ولكن الخطوات خلفها أسرعت أيضاً، فضاعفت سرعتها، وكذلك فعل ملاحقها المجهول. ولكنه كاد يقترب منها، إذ سمعت قدميه تدنوان منها إلى أن أصبحت خلفها مباشرة.

وامتدت يد إلى كتفها، وأطلقت صرخة رعب، والتفتت، فماتت الصرخة على شفتيها بعد أن شاهدت الشعر الأسود الكثيف، وسألها دايفد غاريت:

ـ لماذا تهربين مني بحق السماء؟

فشهقت طلباً للتنفس محاولة إدخال المزيد من الهواء إلى رئتيها:

ـ لم أكن أعلم أنك أنت من تلاحقني.

وأمسك بذراعها من المرفق وجذبها نحو مقعد خشبي تخفيه مجموعة ضخمة من نباتات الورود الشوكية. وقال غاضباً بقسوة:

ـ لو كان لديك عقل يفكر واستدرتِ، لما كنت عرّضت نفسك

للإصابة بنوبة قلبية.

ـ لم أشأ ذلك خوفاً من أن أفقد بعض السرعة.

ـ لا تخرجي ليلاً وحيدة وإن أردت التنزه فخذي كلباً معك.

ـ هذه فكرة جيدة سأخرج معي الكلبة تودي.

ـ ولكنها أشرس كلبة بينها.

ـ نحن صديقتان وهي تعتبرني رفيقة لعبها.

فضحك وقال:

ـ أنا مسرور لأنك تحبين الكلاب الألزاسية، فالناس يخافون منها عادة.

ـ كان لدي كلب ألزاسي، توفي عندما كنت في الرابعة عشرة من عمري.

ـ هي تحتاج إلى التريض فليس من الانصاف حجزها في منزل صغير.

ـ لدينا حديقة كبيرة، ليست كحديقتك وإنما تفي الغرض.

ـ أما زال والداك على قيد الحياة؟

ـ لقد سألتني عن هذا من قبل. والدتي توفيت ووالدي تزوج ثانية في عيد الميلاد الماضي.

ـ وماذا يعمل والدك؟

ـ وسألتني هذا أيضاً من قبل.

ـ ولم تجيبي عن سؤالي. إن لم تخني الذاكرة.

ـ إنه يدرس التاريخ.

هذه هي الحقيقة وإن موّهتها بطريقة ما.

ـ إذاً لهذا أنت متحمسة إلى هذا الموضوع، كان عليك أن تسعَيْ لدخول الجامعة آنسة ويسلر، فأنا أؤمن كثيراً بالتعليم.

ـ حتى للنساء؟

www.elromancia.com

وأجابها مبتسماً:

ـ وهل أبدو ذا عقلية متخلفة تجحد النساء حقهن في التعليم؟

ـ لدى انطباع أنك لا تفكر كثيراً بالجنس الآخر.

ـ هذا صحيح.. مع أنني من وقت لآخر أفكر بهن بشكل خاص!

وشبك ذراعيه على صدره مستنداً إلى ظهر المقعد، وتابع حديثه.

ـ في الواقع كنت أفكر بك كثيراً يا آنسة ويسلر، فأنت تثيرين فضولي.

فأخفضت نظرها إلى الأرض تنظر إليها وكأنها لم ترها من قبل، فتابع:

ـ حسن؟ ألن تسأليني لماذا على الأقل؟ أنت فعلاً أبعد النساء عن الفضول.

ولم ترفع نظرها عن الأرض، فتنهد ساخراً:

ـ أنت تثيرين فضولي لأنني أرتاب في وجود عقل لامع خلف هذا المظهر الخارجي المستسلم الذليل.

ـ أنا لست ذليلة يا سيد غاريت.

ـ ربما هذه كلمة خاطئة، وأعني أنك تبخسين نفسك حقها عمداً. فعندما تقولين سيدي أشعر وكأنك تريدين إثبات تفوقي.

ـ ولكنني لا أظن أنني بحاجة إلى إثبات ما هو واضح.

فضحك وقال:

ـ ها أنت من جديد! لقد فعلتها ثانية.

ـ ماذا فعلت؟

ـ أظهرت لي حدة لسانك وسرعة خاطرك.

ـ أنا امرأة عادية ويؤسفني الا تعاشر من النساء إلا الغبيات منهن.

فقال بلطف:

ـ لسن كلهن غبيات، فكارول ذكية جداً.

ـ إنها مدعية.

ـ وكيف ذلك؟

ورافقها وهي تسير عائدة إلى المنزل.

ـ أفضّل عدم الحديث عن أصدقائك يا سيدي...

ـ إذاً فلتتحدث عن أصدقائك.. لماذا لم تتزوجي بعد آنسة ويسلر؟

ـ كنت أظن أن هذا واضح سيدي. فالرجال يحبون النساء الجميلات.

ـ وماذا عنك؟

ـ من الصعب القول إنني جميلة.

ـ هذا صحيح.. أنت أذكى من أن أكذب عليك. ولكن لك شخصية تثير الاهتمام.

وتوقف عن السير، فاضطرت للتوقف بدورها، مظهرة عدم اهتمامها بعينيه الفاحصتين، ولاحظت نظرة غريبة على وجهه، تبعتها تقطيبة سريعة محيرة عميقة.

ـ أنتِ تبدين مختلفة، ربما أصغر سناً.

ـ نور القمر يخفي خطوط وجهي يا سيدي.

ـ ليس لديك أية خطوط.

ـ أنا أكبر سناً مما تظن سيد غاريت.

ـ لست واثقاً مما أظن، هناك شيء آخر بشأنك يا ترى ما هو؟ نعم وجدتها، أنت لا تضعين نظارتك!

فشهقت واضعة يدها على وجهها، وكانت قد وضعت نظارتها في جيبها عندما غادرت المنزل، حتى نسيتها تماماً، ولكن ما إن حاولت

www.elromancia.com

وضعها حتى أوقفها:

ـ هل يجب عليك أن ترتديها آنسة ويسلر؟ إنها لا تبدو لي نظارات قوية.

وخشيت أن يأخذها منها ويكتشف أنها مجرد زجاج عادي، فأعادتها إلى جيبها ثانية. وقد ظنها تلبي رغبته.

ـ جيد.. لا ترتديها بعد الآن.. أنت تبدين أجمل بدونها.

وحثت سامنتا خطاها أكثر فأكثر هذه المرة، فاضطر إلى مجاراتها، وقال:

ـ سأعود غداً لأنني أجد نفسي أكثر راحة أثناء عملي هنا.

ـ وهل ستحضر معك عملاً.

ـ وماذا أفعل في المكتبة كل مساء؟

ـ حسبتك تجلس مصغياً إلى الموسيقى التماساً للاسترخاء.

ـ أنا في وسط إتمام صفقة دمج ضخمة آنسة ويسلر... ولست أدري لماذا أقول لك هذا.

ـ ربما شعرت بحاجة للحديث عن الموضوع. ففي الحديث راحة أيضاً.

وضحك فجأة:

ـ ولكنني أفضل الاسترخاء والاستلقاء فوق الأريكة!

ـ ألأنها أقل تقييداً إذ تسمح لك بالوقوف والسير متى شئت؟

ـ أتعلمين.. أنوي تغيير ديكور المنزل.

مضامين ما قاله لم تفتها، لذا لم تستطع كبح ضحكة، فسألها:

ـ ما المضحك بالأمر آنسة ويسلر؟

ـ لدي شعور بأنك تريد تغيير ديكوري أنا أيضاً.

فقال وهو ينظر إلى فستانها:

ـ لقد حاولت.. ولكن الأمر لم يكن ناجحاً.

ـ لا يمكنك صنع كيس حرير من أذن خنزير.. يا سيدي.

ـ هكذا يبدو لي.. لنأمل أن أكون أكثر نجاحاً مع المنزل.

ـ ومن سيقوم بالعمل؟

ـ جايمس بولدر.. إن له سمعة ممتازة في عالم الديكور.. سأترك كل شيء له.

ـ وهل من الحكمة ذلك؟ قد تجد نفسك في غرفة عرض بدلاً من منزل.

ـ كارول ستراقبه عني، فلها ذوق رفيع.

وسرت سامنتا لأنها لم تكن غبية لتعرض خدماتها. فكم سيكون مذهولاً لو فعلت هذا. فماذا تعرف عانس سقيمة الذوق والملبس عن تناسق الألوان أو الديكور؟ وقال لها فجأة:

ـ سأتركك هنا آنسة ويسلر، فأنا أهوى السير أكثر.

وهزت سامنتا رأسها بصمت، ثم حيته مبتعدة.

●●●

www.elromancia.com

٧ ـ ابنتنا الصغيرة

كان دايفد غاريت يعود كل ليلة من ذلك الأسبوع إلى الريف واستطاعت سامنتا الابتعاد عن طريقه منذ تلك الليلة، مع أن وجوده كان يشعرها بالقلق.

ولم يكن يمزح عندما قال إنه سيحضر أعماله معه، فقد علمت من لوغان أنه يبقى في مكتبته حتى الواحدة أو الثانية صباحاً، ثم يستيقظ عند السابعة والنصف قاصداً لندن.

يوم الجمعة ظهراً، وصلت سيارة مرسيدس زرقاء، يستقلها جايمس بولدر ذو الشعر الفضي ومساعدته. فأعطى سامنتا رسالة من سكرتيرة السيد غاريت التي تطلب منها أن تريه المنزل وتجيب عن أسئلته المتعلقة بعادات السيد غاريت.

ـ يجب أن أكون على بينة بما يحبه أو يكرهه زبوني.

وأخذت عيناه تجولان في كل مكان. ثم تابع:

ـ السيد غاريت أعطاني مطلق الصلاحية، ولكن هذا بيته على كل الأحوال.

ـ وهل ستلتقي بك السيدة إيڤان هنا اليوم؟

ـ لا. لا.. إنها تريد رؤية الألوان التي اخترتها، والتي يتوجب عليّ تحضيرها ولكن لن ألمس شيئاً قبل أن أتعرف إلى المنزل.

تلاشت ريبة سامنتا بشأن السيد بولدر بعد أن وجدته متقناً لعمله

مدركاً لما يقوم به. ولكنها لم تسهب في الإجابة عن أسئلته لأنها تجهل الكثير من عادات مخدومها. واستمر السيد بولدر يقوم بعمله خير قيام اليوم بكامله.

وما إن ابتعدت السيارة الزرقاء عند السادسة حتى أطلت سيارة الرولز على الطريق ذاتها فتراجعت سامنتا إلى الردهة متجنبة لقاءه. وتساءلت: حتام تبقى على هذه الحال فعليها أن تراه إن عاجلاً أو آجلاً. وكلما بَعُد اللقاء كلما ازداد حرجها. وتكهنت أخيراً أن سبب عزوفها عن رؤيته ليس تصرفه السابق معها إنما مشاعرها الغريبة نحوه ورأت أن من الخير لها أن ترى أحد أصدقائها لتبعد نفسها عن دائرة التفكير بمخدومها.

وأسرعت إلى غرفة جلوسها ثم اتصلت بروبن برايمروز.

وشعرت بالراحة لأنها لم تلق جواباً. وكانت على وشك أن تضع السماعة مكانها عندما سمعت صوت روبن، فحيته تحية حارة ثم قالت له: إن بمقدوره ملاقاتها يوم الاثنين في منزل والدها ليخرجا معاً.

ـ تعال إلى المنزل ما بين السابعة والسابعة والنصف.. سأقدّمك إلى زوجة أبي.

ـ كخطيبك كما أرجو؟

ـ لن يحصل ذلك ولو في الحلم.

وضحكت ثم ودعته قبل أن يتمكن من إطالة الحديث.

يوم السبت بقي دايفد غاريت في مكتبته، منهمكاً بين الوثائق، فاكتفى بتناول بعض السندويشات لئلا يهدر شيئاً من وقته، وفي المساء طلب سندويشات مرة أخرى، فغضبت سامنتا إذ كيف يتناول وجبتين خفيفتين والبيت يذخر بطعام شهي أعدّ له خصيصاً.

فقالت للسيدة لوغان بحدة:

www.elromancia.com

ـ لا تزعجي نفسك بالسندويشات . . سأذهب لأتكلم معه .

ـ سيقطع رأسك .

ـ لن يستطيع .

ولكن عندما رأته خلف طاولته مشعث الشعر، مصفر الوجه زال عنها غضبها، وشعرت أنه من غير اللائق أن تنهاه عن أمر لتأمره بآخر .

وقال لها متوتراً :

ـ نعم . . . ماذا تريدين؟

ـ جئت فقط لأخبرك أن السيدة لوغان قد حضرت لك عشاءك المفضل يا سيدي . وستتكدر كثيراً إذا لم تتناوله .

ـ فلتذهب السيدة لوغان إلى الجحيم! أنا مشغول آنسة ويسلر .

وانحنى فوق أوراقه فشعر أنها لم تتحرك قيد شعرة، فنظر إليها :

ـ حسناً . . لماذا تقفين على ساق واحدة هكذا؟

وتجاهلت سخريته :

ـ سنقدم العشاء في الغرفة الصغيرة عند الثامنة يا سيدي .

وقال لها بلهجة خالية من اللطف :

ـ تعلمين ما يجب فعله بالطعام .

واحمرّ وجه سامنتا، ولكنها بقيت متشبثة بموقفها، وتظاهرت بعدم فهمه .

ـ أنا لا أتمتع بتناول الطعام وحدي يا سيدي .

ـ وهل هذه دعوة يا آنسة ويسلر؟

ـ بالطبع لا، يا سيدي .

ـ هذا مؤسف . سأكتفي بوجبة خفيفة طالما أنك لن تشاركيني طعامي .

ـ هذا مؤسف!

لكن تعبه الشديد أثار شفقتها وعطفها لذا سارعت إلى القول :

ـ سأتناول العشاء معك سيدي .

ـ صحيح؟ . . هذا تنازل كبير منك سينقذ مخدومك من الموت جوعاً .

ـ كلنا نحب العمل عندك يا سيدي . إذا مت وتركتنا، فسنضطر إلى التفتيش عن مخدوم جديد .

فقهقه لخفة دمها، ثم وضع القلم من يده، وأسند ظهره إلى المقعد، متمطياً .

ـ أنا مرهق فعلاً . وقد تفيدني الراحة بضع ساعات، سأراك في غرفة الطعام عند الثامنة .

ـ جيد جداً يا سيدي .

وما إن بلغت الباب حتى ناداها قائلاً :

ـ الأفضل أن أراك عند السابعة والنصف في غرفة الجلوس . لتناول بعض المرطبات .

وتقدمت من غرفة الجلوس في الوقت المحدد فوجدته قد سبقها إليها وعندما رآها سارع إلى تقديم كوب فضيّ تنبعث منه فقاقيع غازية .

ـ أرجو أن يعجبك هذا المرطب يا آنسة ويسلر؟

ـ إنه يختلف عن شراب الليمون المر .

ـ لن ترفضيه، فالأقبية مليئة بصناديق كاملة منه .

فرفعت رأسها وهي تجيب :

ـ لكن خدمك لا يلمسون شرابك يا سيدي .

ـ ولكني أسمح لك باستخدام أية زجاجة تريدينها . فأنا أود أن تكون لك صلاحية كاملة مطلقة على المنزل ومحتوياته .

ودخل لوغان ليعلن أن العشاء جاهز فتبعاه إلى غرفة الطعام

www.elromancia.com

الصغيرة، وقال لها بعد أن بدآ بتناول الطعام:

ـ ما رأيك بجايمس بولدر؟

ـ لقد أعجبني.. علماً أنني ما كنت أحسبه سيعجبني.

ـ كارول تحسن اختيار مهندسي الديكور نظراً لخبرتها الممتازة.

ـ هي محترفة إذاً؟

ـ إنها تجدد ديكور منزلها كل سنة تقريباً.

ـ هذا غريب. أنا أحب أن يكون منزلي مألوفاً، ولن يكون كذلك إذا استمريت بتغيير الأشياء فيه.

وأشار إلى لوغان ليتركهما وحدهما قائلاً إنه سيرن الجرس إذا احتاج شيئاً ما ثم قال لها:

ـ أشعر أنك تقلقين عندما يكون لوغان موجوداً.

ـ قلقي طبيعي، فلم أسمع أنك قد تناولت يوماً طعامك مع مدبرة منزلك السابقة السيدة غودمان.

فضحك:

ـ بالطبع لم أفعل. فلو كنت مثل العزيزة السيدة غودمان، لوضعتك على اللائحة نفسها.

ـ لا أجد أنني أختلف عنها.

فابتسم ومال إلى الأمام:

ـ أنت أصغر سناً، لا يجب أن تضعي على وجهك هذا المسحوق الشاحب كما أنك لا تحتاجينه أبداً، إذ لديك بشرة رائعة.

فركزت اهتمامها على تقطيع اللحم في طبقها، دون أن تجيبه، فقال:

ـ عذراً لم أقصد إحراجك.

وكان اعتذاره حقيقياً، لم تستطع تجاهله، فابتسمت له ابتسامة

جعلته ينظر إليها نظرة نافذة، ولم يلبث أن تبادلا الحديث في مختلف الموضوعات إلى أن انتهت وجبة الطعام، وعادا إلى غرفة الجلوس لتناول القهوة.

عند العاشرة وقف على مضض محيياً:

ـ يجب أن أتابع عملي. فلدي لقاء مع اليكسندر إيڤان في الصباح.

ـ إذاً لن تكون هنا لما تبقى من عطلة الأسبوع؟

ـ شكراً لأنك شاركتني العشاء آنسة ويسلر. سأراك لاحقاً خلال الأسبوع.

وغادر المنزل في الصباح دون توديعها، وليس هناك من سبب ليودعها، وغضبت من نفسها لخيبة الأمل، ولو كانت تعلم أنه سيغادر المنزل يوم الأحد لرتبت لقاءها مع روبن، وقررت الذهاب إلى منزلها.

وما إن فتحت اديت لها الباب، وقد بدا على وجهها الاغتباط أولاً، ثم التكدر، حتى اكتشفت سامنتا أنّ والدها وزوجته قد ذهبا ليمضيا عطلة الأسبوع على الشاطىء. وقالت لها اديت:

ـ السيدة ويسلر تظن أن هواء البحر سيفيد والدك.

ـ هذا صحيح، فلا تتحاملي عليها!

ـ يلزمني وقت طويل للتعود عليها، ولكنها أفضل مما توقعت.

ـ وهل والدي سعيد؟

ـ أجل.. إنه سعيد. فالسيدة ويسلر مشغوفة به وهو مسرور بهذا.

ـ كل الرجال يتمتعون بشغف النساء بهم.

وتوجهت نحو الهاتف لتتصل بروبن برايمروز، فقضاء أمسية معه سيجعلها تنسى مخدومها.. وقالت له على الهاتف:

www.elromancia.com

- كم صديقة حولك؟
- أنا حر كالعصفور.
- وهل تعدني أن لا تنقلب إلى ذئب إذا خرجت معك الليلة؟
- جربيني . . سأحضر إليك في الحال!

وكان عند كلمته . . وجلست سامنتا إلى جانبه في سيارته السبور المكشوفة، وهي تحس بروح معنوية مرتفعة. من الجيد لها أن تعود إلى طبيعتها: أن تقول ما تريد دون الاضطرار إلى مراقبة ما ستقوله، وأن تشير إلى ماضيها ومستقبلها دون الشعور بأنها ستفضح نفسها، ودون الحاجة إلى مراقبة أفكارها. وهذا وضع استغله روبن عندما عاد بها أخيراً إلى المنزل، وأوقف السيارة ثم جذبها بين ذراعيه بشغف. وتحملته للحظات، ولكنها بعد ذلك دفعته عنها قائلة:

- لا يا روبن، أرجوك لا تفعل هذا.
- ما بك؟
- أنت عصفور، أتذكر، ولست ذئباً.
- على الأقل دعيني أكون جرو الذئب؟

ولكنها تجاهلته وقفزت من السيارة، فقال لها:

- غداً عند الثالثة، هكذا اتفقنا.

ولم تقدر أن تتصور تحمل رؤيته عن قريب ثانية، فقالت كاذبة:

- أخشى أن لا أستطيع، اعتقدت أنك فهمت أنني قابلتك اليوم عوضاً عن الغد؟
- ما رأيك بالأسبوع القادم إذاً؟
- سأتصل بك . . لست أدري متى سأكون حرة.

بينما كانت مستلقية في فراشها تحدق إلى الورود الزهرية التي تسلقت الجدران، وجدت أنها تحس بالحنين إلى غرفة نومها في قصر بارتهام ولكن ليس المنزل نفسه هو الذي يشدها إنما شعورها

بأنها قريبة من مالكه. ودفعت هذه الأفكار عنها بانزعاج وأخذت تفكر عوضاً عن ذلك بشهر أيلول.

وبقيت سامنتا في المنزل إلى ما بعد ظهر اليوم التالي، على أمل أن ترى والدها. ولكن عندما وصلت الساعة الثالثة، اضطرت كارهة إلى أن تغادر، وكانت اديت قد خرجت لتتسوق، فاستطاعت أن تلف شعرها فوق رأسها وترتدي ثياب التنكر.

وفي الباص أحسّت بمعنوياتها ترتفع، فهذا يوم جميل مشرق آخر. درجة حرارته مرتفعة، وكم من المؤسف أن لا يكون في قصر بارتهام بركة سباحة . .

عندما بدت لها أبواب القصر الحديدية، طلبت من السائق التوقف، ثم أخذت تصعد طريق القصر متكاسلة.

وما إن برز المنزل أمامها حتى توقفت شاهقة. لأنها رأت سيارة والدها واقفة قرب شجرة مزهرة. ولا بد أنه ومادلين قد أتيا لرؤيتها.

وأسرعت، وقلبها يخفق، لتستدير حول الباحة إلى الباب الخلفي للمنزل، وهناك واجهتها صدمة ثانية، سيارة دايفد غاريت الرولز كانت متوقفة في الكراج. . . أوه. . لا! هذا كل ما ينقصها. . .

وتمنت لو انشقت الأرض وابتلعتها. وهرعت إلى الداخل تبحث عن لوغان. ووجدته يلمّع بعض أواني الفضة. ورفع رأسه إليها لدى دخولها المفاجيء قائلاً قبل أن تتاح لها فرصة الكلام:

- والداك هنا آنسة ويسلر. . لقد قدّمت لهم الشاي لتوي في أيكة الورود.

فشكرته، ثم خرجت مسرعة فوق العشب الأخضر، وقبل أن تصل إلى الأيكة سمعت صوت زوجة أبيها المدوي، فأبطأت من سيرها.

www.elromancia.com

ـ لقد جعلتنا سامنتا نعدها بألا نزورها قبل الاتصال بها هاتفياً. ولكن عندما مررنا من هنا رأينا من السخف عدم زيارتها.

ورد عليها صوت هادىء، ارتعدت له فرائص سامنتا:

ـ سرني قدومكما.

بدا دايفد غاريت مسروراً عندما كان يكلّمها، فقالت له مادلين:

ـ أنا شغوفة بالحدائق. عكس زوجي وابنته فهما رائعان في اختيار الأزهار لا في غرسها!

ـ تجيد الآنسة ويسلر تنسيق الأزهار.

فضحك البروفسور ويسلر:

ـ إنها تجيدها أكثر مما تجيد الطباعة. كيف تجدها؟

ـ ابنتك لم تطبع لي شيئاً.

ـ لقد اعتقدت أن سامنتا تعيد طبع ملاحظاتك.

فتدخلت مادلين:

ـ أظن أن سامنتا تقوم بالأبحاث فقط يا عزيزي. وهذا قد لا يتطلب الطباعة.

فردد دايفد غاريت:

ـ ابنتك لا تطبع شيئاً قطعاً، فأنا بالتأكيد لا أتوقع منها أن تكون سكرتيرتي إضافة إلى...

فقاطعته مادلين مستوضحة:

ـ بالإضافة إلى ماذا؟

ـ بالإضافة إلى كونها مدبرة منزلي.

ـ مدبرة منزلك؟

ـ أجل.. وهي ممتازة.

ـ ادوارد.. هل سمعت هذا؟

وبدا السرور على صوت البروفسور وهو يقول:

ـ لقد سمعت بالتأكيد. يبدو أن ابنتي متورطة في تمثيلية ما، لقد أخبرتنا أنها تساعدك في أبحاثك.

فرد عليه دايفد غاريت قائلاً:

ـ إنها تحل مكان صديقة لها، مريضة تدعى الآنسة كوليت إيكنز.

وساد صمت قصير، قطعه في النهاية البروفسور وهو يتمتم أن كوليت إيكنز صديقة مدبرة منزله، وأضاف:

ـ هذا تماماً نوع الأشياء التي تقوم بها.. ولكن هذا لطف كبير منها. ألا تعتقد ذلك؟

وتدخلت مادلين ثانية في الحديث:

ـ ادوارد على حق. فسامنتا فتاة متهورة، ولكن معظم الشبان هم كذلك في هذه الأيام.. إلا أنها أكثرهم تهوراً.

واعترض دايفد غاريت قائلاً:

ـ لا أؤيدك سيدتي، فهي امرأة عملية جدية.

فقاطعته السيدة ويسلر بإصرار قائلة:

ـ إنها طائشة ومندفعة. وجميلة جداً أيضاً، يحوم حولها الشبان دائماً!

ـ حقاً؟!

وذهلت سامنتا للهجة عدم التصديق في صوت مخدومها، وتابعت زوجة أبيها:

ـ بالطبع.. ولكن ليس لديها الوقت الكافي للعلاقات الرومانسية الجدية. فهي تريد أن تحصل على درجة تخرجها من الجامعة أولاً.

وأضاف البروفسور:

ـ وهذا تعقل منها. فالزواج يأتي دائماً فيما بعد.

فقال دايفد غاريت:

www.elromancia.com

ـ لا بد أن ابنتك حكيمة جداً لتركز على مستقبلها.

وقالت مادلين ويسلر بإصرار:

ـ لن يسمح لها بالتركيز لمدة طويلة. إنها أجمل من أن تكون عالمة فقط. ألا تظن ذلك سيد غاريت؟

وجاء رده بارداً:

ـ الجمال أمر نسبي.

ـ ولكن سامنتا رائعة الجمال. ستكون زوجة ممتازة إذ نادراً ما يجتمع العقل والجمال في امرأة واحدة، وأنا واثقة بأنك توافقني الرأي سيد غاريت. ألهذا السبب لم تتزوج بعد.

ـ أنا أفضل حريتي.

ـ لقد وقع في سحر ابنة زوجي من هم أكثر منك قوة وبأساً. هل تقوم سامنتا بدور مضيفتك؟ فمن المؤسف ألا تفعل.

ـ خالتي هي عادة من تقوم بهذا الدور، وأنا لا أستخدم أبداً مدبرة منزلي لعمل كهذا.

ولم تعد سامنتا قادرة على سماع المزيد، فخطت إلى داخل حديقة الورود، وقالت ببهجة وهي تركز عينيها على والدها:

ـ مرحباً.

ـ يا حبيبتي.. من الجميل أن أراكِ.

وسألتها السيدة ويسلر دهشة مستغربة:

ـ ما هذا الذي ترتدينه؟ وماذا فعلت بشعرك بحق الله؟

عندها فقط تذكرت سامنتا ثوبها الأسود المزري، وشعرها المعقوص بشكل سخيف فوق رأسها. فقالت:

ـ أحب إبعاده عن وجهي.

فقال لها دايفد غاريت بصوت هادىء:

ـ لقد اعتقدك أهلك سكرتيرتي.

ولم تستطع سامنتا إخفاء الاضطراب عن صوتها فقالت:

ـ إنه سوء تفاهم بسيط.

فرد عليها قائلاً:

ـ بسيط جداً.

وتجاهلت تعليقه، ومررت فنجان الشاي إلى والدها ثم إلى زوجته، ثم سألت:

ـ هل تحب أن تتناول فنجاناً سيد غاريت؟

ـ لا شكراً، ولكن تناولي واحداً.

ـ لا أشعر بالعطش.

والتفتت إلى والدها فوجدته ينظر إليها نظرة غامضة يستخدمها عندما يريد إخفاء سروره، وسألته:

ـ لماذا لم تخبراني بقدومكما؟

ـ أرادت مادلين أن تفاجئك.

فقال دايفد غاريت:

ـ لقد فاجأتها بالفعل. بل لقد فاجأتنا معاً.

والتفت إلى مادلين مردفاً:

ـ سرّتني زيارتكما. والآن أرجو المعذرة، فلدي عمل أقوم به.

وردت عليه السيدة الطيبة:

ـ بالطبع.. وأرجو أن تزورنا يوماً.

فقال لها زوجها:

ـ أنا واثق بأن السيد غاريت لديه من العمل ما يمنعه من قضاء وقته مع بروفسور عجوز وزوجته.

لكن دايفد أجابه فوراً:

ـ هذا ليس بصحيح عندما يكون البروفسور هو ادوارد ويسلر. أنا من المعجبين جداً بعملك. وفي الواقع لقد تمتعت بقراءة آخر

www.elromancia.com

كتاب لك.

ـ هذا لطف كبير منك.

وبقيت سامنتا تنظر إلى العشب، وبرز لناظرها حذاء جلدي أسود لماع.

ـ عندما يذهب والداك آنسة ويسلر، ربما تستطيعين المجيء إلى المكتبة.

فردت عليه «أجل سيد غاريت» دون أن ترفع عينيها إلى أن سمعت وقع أقدامه على السلم الحجري للمنزل.

●●●

٨ ـ محتالة ولكن..

وما إن غادر والداها، حتى سعت سامنتا تفتش عن دايفد غاريت.

وكانت خلال الساعة التي قضتها مع والدها وزوجته متوترة الأعصاب لعلمها أن مخدومها قد اكتشف لعبتها وزيفها وكذبها الذي لم ينته منذ وصولها. وأملت أن يتفهم موقفها بروح رياضية مرحة.

لكن نظرة واحدة إلى وجهه عندما دخلت المكتبة أخبرتها أنه يميِّز غضباً ولم تره يوماً أشد غضباً مع أنه حاول السيطرة على نفسه لكن أعمق أعماقه كانت تستعر بلهيب ناري عاصف.

ـ أنت مثل جميع النساء، لعوبة أنانية تريدين نيل بغيتك دون أن تعبئي بمن تدوسينه أو تطئينه.

ـ لم أفعل ذلك لغاية ما يا سيد غاريت.

ـ أوَتتوقعين أن أصدقك؟

ـ إنها الحقيقة الدامغة.

ـ لقد أتيت إلى هنا لتعملي كمدبرة منزل، وتزينت بثوب امرأة خارجة من ميتم في العصر الفيكتوري، وادعيت أنك سكرتيرتي وأنني رجل عجوز، ومع ذلك كله تريدين أن أصدق أن دوافعك وغايتك نبيلة.

www.elromancia.com

ـ لِمَ هذا الغضب كله؟ أنا لم أرتكب أي جرم.

ـ وادعاؤك الكاذب وزيفك ولعبتك الدنيئة ألا تعتبر جرماً.

ـ لم يكن ادعاءً زائفاً. لقد أتيت إلى هنا لأنقذ وظيفة الآنسة إيكنز. وهذه غاية نبيلة قانونية وذنبي الوحيد ادّعائي أنني أكبر سناً.

ـ لم تدعي أنك فقط أكبر سناً بل أكثر بشاعة وأشد غباء.

ـ لكنك لم تشكّ قطُّ بأنني غبية.

وتوقف للحظات:

ـ هذا صحيح. لقد وجدتك ذكية بشكل مدهش و... ولكن يبدو أنني لم أفِ ذكاءك قدره أو حقه. فأنت لست ذكية فحسب إنما مغامرة جريئة تملكين من قدرة الابتكار ما خولك اقتحام حياتي زاعمة أنك لا تهتمين بملابسك أو بمظهرك حتى أطمأن إليك فلا أحذرك أو أتجنبك، عندما أفكر بهذا أتمنى لو..

وضرب بيده على الطاولة، واستدار ليواجه النافذة، وكأنه لا يطيق النظر إليها.

واستطاعت عندها أن تفهم سبب مرارته وغضبه الذي لم يكن موجهاً إليها بقدر ما هو موجه إلى النساء اللواتي خدعنه مدعيات الحب بينما غاية أملهن ماله وثراؤه. ولكن أحقاً يعتقد أن تخفيها سببه الوصول إلى ماله.

وقالت له بحزم:

ـ اسمع ليس لدي غاية خفية، فكل المسألة أنني تنكرت ليقيني من أنكم لن توظفوني لو كنت أصغر سناً مما اعتقدتم. فهل كانت السيدة غودمان ستقبلني فيما لو عرفت عمري؟

واستدار لينظر إليها متسائلاً:

ـ وكم عمرك الحقيقي؟

فترددت قليلاً مما جعله يصيح بها:

ـ الحقيقة يا آنسة ويسلر.

وابتلعت ريقها ثم أردفت:

ـ اثنان وعشرون سنة.

ـ اثنان وعشرون، أنت محقة تماماً، ما كانت لتقبلك ولما قبلتك أنا أيضاً... احزمي حالاً ثيابك وغادري المنزل يا آنسة فسيوصلك السائق إلى منزلك.

ونظرت إليه بارتباك... هذا شيء لم تكن تتوقعه.

ـ ولِمَ تصرفني من العمل؟ أعلم أنني أرضيتك كمدبرة منزل و...

ـ لا علاقة لهذا بموضوعنا، وإنما المسألة احتيالك ودجلك ولا نية عندي بالسماح لك بالبقاء.

وجلس وراء طاولته، وجذب إليه بعض الأوراق مشيراً إلى أن المقابلة قد انتهت.. ولكنها صرخت به:

ـ كيف يمكنك أن تكون دون شعور فلو لم تكن راضياً عن عملي لفهمت سبب طردك إياي. أما أن تجعل عمري عائقاً رغم نجاحي بالعمل فهذا هو الإجحاف بعينه.

ـ لقد أتيت إلى هنا بقصد إقحام نفسك في حياتي.. وكان مشروعاً ذكياً، آنسة ويسلر، ولكن لسوء الحظ لم ينجح.

وأطاح تدفق غضبها على آخر ذرّة تعقل فيها:

ـ إذا ظننت أنني جئت بغية التعرف إليك فأنت مغرور ومجنون حقاً فأنا لم أسمع بك قبل أن تذكر اسمك كوليت. اعلم أنك لا تمثل شيئاً لي فما أنت إلا صائد ثروات همه جمع المال والسعي إليه بكل جوارحه. أوَ ظننت أنني قد أرتدي تلك الملابس السخيفة حباً بك أو رغبة في التعرف إليك؟...

وخانتها الكلمات، فاستدارت لتسير نحو الباب، ولكن التفكير بكوليت جعلها تقف وتستدير ثانية:

ـ ليس عدلاً ألا تحتفظ بـ ـة لكوليت. فأنا قد أحسنت عملاً وأدرت منزلك بشكل ناجح، فموظفوك لم يتذمروا مني يوماً. وإن كنت تصر على مغادرتي الليلة، فكن لبقاً على الأقل...

ثم توقفت قليلاً لتلتقط أنفاسها وتابعت:

ـ إن السيدة لوغان وزوجها قادران على تولي مسؤولية البيت حتى يحين موعد عودة كوليت أي بعد شهر فقط.

ـ اهتمامك بصديقتك يمنحك السمعة الحسنة. لكنني أفضل أن أدير منزلي بالطريقة التي أراها مناسبة.

ـ ولكن السيدة لوغان تستطيع...

ـ السيدة لوغان تستطيع تولي بعض المسؤوليات أما إذا أضفت إلى مهامها مهمة تنظيم الحفلات وما شابه فسترتبك حتماً لأنها لا تستطيع ذلك. وسأقيم عدة حفلات في الشهر القادم ولن تستطيع تولي الأمر؟

وتنهدت سامنتا وهي تتجه إلى الباب، فالرجاء مضيعة للوقت، ومن الأفضل أن تقبل بالمحتوم وتغادر المنزل. كم هو قاس! وانهمرت دموعها بغزارة فسارعت إلى الخروج حتى لا يرى ضعفها فلم تسمع صوته عندما ناداها فكرر نداءه بصوت مرتفع فالتفتت إليه هامسة:

ـ ماذا تريد؟

ـ لقد قلت، بما أنك مهتمة إلى هذا الحد بالأنسة إيكنز فقد قررت السماح لك بالبقاء، ليس لأنني غفرت لك تصرفك، بل لأنني أقدر دافعك النبيل.

واستدارت نحوه على الفور، وعيناها تلمعان بالسعادة:

ـ أنا سعيدة جداً سيد غاريت. وصدقني، أنا لم أجيء إلى هنا لأوقعك بحبائلي.

ـ لقد أوضحت هذا تماماً. وأنا لم أدرك أنك تنظرين إلى عملي بعين السخط وعدم الرضى.

ـ أنا آسفة ما كان علي أن أكلمك بهذا الأسلوب الفج.

فكان جوابه ضحكة حادة، قصيرة.

ـ لا تعتذري عن صدقك. إنها ميزة نادرة وأنا أقدّرها فيك.

ـ صدقني ظننتك عجوزاً. وعندما تحدثت السيدة غودمان عنك، أعطتني الانطباع بأنك...

فرد عليها ببرود قائلاً:

ـ لا حاجة إلى مزيد من التوضيح... ولكن عليك أن تعودي إلى ملابسك وتصرفاتك الطبيعية العادية.

ـ تصرفي؟ أستطيع ارتداء الثياب العادية بالطبع. ولكنني لا أستطيع التصرف معك بشكل عادي.

ـ ولِمَ لا؟

ـ قد أكون صريحة جداً.

فقطب حاجبيه قائلاً:

ـ أفضل صراحتك على ادعائك وتمثيلك.

ـ حسن جداً سيد غاريت.. سأفعل ما تريد.

ولم يستدعها هذه المرة، فخرجت من المكتبة إلى غرفتها، وكانت مسرورة لأنها سترتدي من جديد ثيابها الأنيقة.

ولاحظ الموظفون ملابسها الجديدة ومظهرها الفتي لكنهم عاملوها باحترام ومحبة أكثر. والسيدة لوغان أخذت تعاملها معاملة الأم لابنتها، والخادمات الشابات، اعتبرنها المؤتمنة على أسرارهن.

www.elromancia.com

وهكذا رضيت بأنها استعادت شخصيتها الحقيقية، إضافة إلى المحافظة على كرامة السيد غاريت. وعادت يوماً من أيام الأسبوع من زيارة لها إلى البلدة، لتجد سيارة جايمس بولدر متوقفة أمام المنزل، فدخلت الردهة الرئيسية تفتش عنه.

ووجدته في غرفة الطعام يقيس الطاولة، فرمقها سريعاً، ثم عاد إلى عمله، فقالت:

ـ لم أكن أعلم أنك قادم اليوم سيد بولدر، سأكون ممتنة لك لو تتصل بي المرة القادمة لتعلمني بقدومك.

ـ أتصل بك؟

ونظر إليها بحيرة، ثم تغيرت نظرته إلى دهشة.

ـ يا إلهي!. لولا صوتك لما تعرفت إليك أبداً. ماذا فعلت بنفسك؟

فأجابته باختصار:

ـ إنها الثياب الصيفية.

ـ إنها أفضل من ثيابك الشتوية، لقد أتيت لأتأكد من بعض القياسات خاصة وأنّ السيدة إيڤان تريد أن ترى بعض الأقمشة في مكانها. فالألوان تبدو مختلفة في محيط مختلف. إنها تتأثر بالنور والمساحة، كما أعتقد.

وجاء صوت ناعم بلكنة فرنسية ـ كندية خفيفة يقول:

ـ أنا واثقة بأنّ الآنسة ويسلر لا تريد ازعاج نفسها بأسرار مهنتك يا جايمس.

واستدارت سامنتا لدخول كارول إيڤان الغرفة. وحضرت نفسها لترى دهشة المرأة، ولكنها لم تتوقع غضبها الواضح للعيان الذي استطاعت إخفاءه بسرعة. ولم تعلق كارول على شكلها الجديد، وبدأت فوراً الحديث مع مهندس الديكور بشأن تجديد أثاث

الردهة. وقالت بلهجة آمرة:

ـ يجب تعرية الجدران، واستعادة اللون الأصلي لألواح الخشب، ثم وضع سجادة فارسية حمراء على الدرج والأرض.

فقال الرجل:

ـ سيكون هذا ممتازاً. وما رأيك بغرفة الاستقبال؟

ـ لنضع القماش الذي اقترحته فوق المقاعد.

ومع أنه لم يكن هناك سبب لبقاء سامنتا مع الزائرين، إلا أن شيئاً دفعها لأن تبقى، وجالت معهما من غرفة إلى غرفة، تستمع إلى القرارات حول الأثاث والستائر، والسجاد وورق الجدران. ولاحظت سامنتا أن ذوق كارول إيڤان يميل إلى الألوان الغريبة بدل الألوان البسيطة، التي كانت تشعر شخصياً أنها تناسب أكثر المنزل الريفي. فقصر بارتهام لا تناسبه الألوان الفاتحة أو الأقمشة الحريرية والمخملية. وخاب أملها لأن دايڤد غاريت راضٍ بأن يترك القرار لكارول. ولا بد أنه قادر على إيجاد بضع ساعات من وقته ليشرف على هذه التغييرات بنفسه فهذا منزل يقطنه لا فندق يعيش فيه أشهراً محدودة.

وتنبهت إلى أن كارول تخاطبها، وقد توتر صوتها وهي تعيد السؤال:

ـ لقد سألتك عن رأيك بالألوان التي اخترتها.

فأجابتها كاذبة:

ـ تبدو رائعة. مع أنني لم أنتبه جيداً إليها.. تغيير ديكور منزل يشابه تحضير حفلة عشاء، كثرة الطباخين تفسد الطعام!

فضحك جايمس بولدر:

ـ كم أنت لبقة!

فقالت كارول وهي تنظر إلى سامنتا ببرود:

www.elromancia.com

- اللباقة أمر يتطلبه السيد غاريت في كل من يعمل لديه، وما من شك أنني سأراك في عطلة الأسبوع، فأنا وزوجي قادمان إلى هنا.

وأجابت سامنتا بمرح:

- أرجو أن يستمر الجو معتدلاً.

فابتسمت كارول وهي تهبط السلالم باتجاه سيارة جايمس بولدر.

- الصحبة تهمني أكثر من المناخ.

واستدارت سامنتا، بعد أن أغلقت الباب، متجهة نحو جناح الخدم، وكأنما بفعلها هذا تغلق الباب على الأفكار التي كانت تزعجها.

●●●

٩ - لا يمكن أن تحبه!

وكما توقعت، فقد تلقت سامنتا اتصالاً من سكرتيرة دايفد غاريت تقول لها انه سيقيم حفلة منزلية في نهاية الأسبوع، طالبةً منها تحضير كل غرف الضيوف. وهذا يعني أن اثني عشر شخصاً سيأتون إلى المنزل على الأقل، ولم تدهش عندما وصل السيد موريس يوم الخميس مساءً بدلاً من الجمعة، وبدأ فوراً بالعمل في المطبخ.

وقد عامل السيدة لوغان وكأنها نداً له، قابلاً عرضها بأن تحضر بعض الأطباق، مناقشاً معها لائحة الطعام التي ينوي تقديمها خلال ثلاثة أيام.

انشغلت سامنتا طيلة يوم الجمعة بتغيير الزهور وتنسيقها في المنزل إذ وضعت باقات ضخمة من الزهور الريفية التي كانت تفضلها.

بعد ظهر ذلك اليوم قصدت البلدة لتشتري بزات رسمية جديدة للخادمات. وكانت قد طلبتها بمبادرة شخصية منها. بعد أن وجدت أن الثياب السوداء والبيضاء التي ترتديها الخادمات أشبه بملابس ساقيات المطاعم. واختارت عوضاً عنها أثواباً رمادية للنهار وأخرى بنية لفترة الزوال وما بعده. وما إن دفعت الفاتورة، التي بدت لها ضخمة، حتى أحست بالخوف لأنها لم تحصل على موافقة مخدومها أولاً، الأثواب لم تكن غالية الثمن، لكن سعر الأثواب

www.elromancia.com

الإجمالي كان كبيراً نسبياً. وعادت إلى القصر ومعها صناديق المشتريات.

عندما وصلت إلى القصر رأت سيارة الرولز قابعة في موقفها فحثت خطاها إلى المدخل الجانبي وقد خفق قلبها خفقات جنونية وشعرت بالإثارة تجتاح كيانها بطريقة لا يستطيع تفسيرها المنطق السليم. فسيراها مخدومها للمرة الأولى على حقيقتها دون تنكر وأخذت خفقات قلبها تتصاعد حتى أحست أن فمها قد جف. وأعطت صناديق الثياب إلى إيما، مع تعليمات للخادمات بارتدائها حالاً.

ثم صعدت مسرعة إلى غرفتها محرجة متوترة، فاعتنت باختيار ملابسها كل العناية وارتدت ثوباً حريرياً عاجي اللون وسرّحت شعرها، ثم وضعت أحمر الشفاه وظلال العيون التي أظهرت طول رموشها. وخرجت إلى غرفة جلوسها الخاصة، فسمعت جرس المكتبة يرن وأسرعت للإجابة. ووقفت خارج المكتبة. وقد تعرّقت يداها فحاولت مسحهما بفستانها لكنها أسرعت فطرقت الباب ثم دخلت.

كان مخدومها واقفاً عند النافذة معطياً ظهره إلى النور. لكن عينيه راحتا تراقبانها أثناء دخولها حيث بدت فتاة طويلة نحيلة، رشيقة واثقة من نفسها. ولما رفعت رأسها انسدل شعرها البني الكثيف الناعم فوق كتفيها، وقالت:

ـ هل طلبت رؤيتي سيد غاريت؟

ـ نعم طلبتك للتحدث بشأن ترتيبات الحفلة.

كان صوته متقطعاً وكأنما يتحدث مع شخص غريب. فردت عليه قائلة:

ـ لقد حضّرت لائحة بغرف النوم التي خصصتها لكل ضيف.

وأعطته ورقة، فأخذها ثم وضعها فوق طاولته دون النظر إليها، وقال:

ـ أنا واثق بأنك رتبتِ كل شيء ترتيباً تاماً، فلا تبرهني قدرتك وبراعتك أمامي الآن.

ـ لقد قلت إنك تريد بحث الترتيبات معي سيدي. واعتقدت أنك تعتبر هذا واحداً منها.

وساد الغرفة صمت عميق وتوقعت منه غضباً عاصفاً إلا أنه استعاض عنه بهزة كتف غير مبالية. وعندما جلس خلف الطاولة رأت وجهه شاحباً يميل إلى الاصفرار ولحيته نامية خشنة دليل الإرهاق والتعب فمال قلبها إليه رأفة. فسارعت إلى القول:

ـ تبدو تعباً يا سيدي.

ـ صحيح... فقد مرّ عليّ اسبوع عمل مرهق.

ـ سأحضر لك بعض الشاي.

ـ لا تزعجي نفسك.

ـ ليس هناك إزعاج سيدي. فالعشاء لن يقدم قبل الثامنة والنصف، وأمامك وقت طويل حتى ذلك الموعد.

كانت إجابته هزة كتف أخرى. فأسرعت إلى المطبخ وأعدّت وجبة خفيفة أضافت إليها إبريقاً من الشاي. ثم حملت الصينية وعادت إلى المكتبة.

ولم يجبها صوته عندما قرعت الباب فظنت أنه لم يسمعها ولما دخلت الغرفة وجدته نائماً. فوضعت الصينية من يدها بهدوء. وكرهت أن توقظه، ولكن الشاي سيبرد إذا لم تفعل فمالت إليه قليلاً لكنه بدا أكثر إرهاقاً وأصغر عمراً أيضاً إذ استراحت تعبيرات وجهه خلال النوم.

إنه لا يضع نظارته التي وضعها على الطاولة ولما حاولت التقاطها

وجدتها ثقيلة جداً! فأعادتها إلى مكانها بحذر، وعادت عيناها إليه تتأملان شعره الأسود الذي خالطته شعيرات بيضاء. وتحركت جفونه، ومن غير توقع رفعهما.. ووجدت سامنتا نفسها تحدق مباشرة إلى حدقتيه الرماديتين اللتين بدتا كعيني طفل كبيرتين صافيتين. ثم أغمض جفنيه ومدّ يده إلى نظارته ووضعها بثبات على عينيه. وسألها:

ـ ماذا تريدين؟

وشاهد الصينية قبل أن تجيب، فقال:

ـ لم أطلب طعاماً.

ـ إنها وجبة خفيفة من اللحم المجفف يا سيدي.

ـ توقفي عن رعايتي كأم عطوف يا آنسة ويسلر.

واحمرّت وجنتاها لسخريته. وأحسّت بالحرج لأنها تعلم أنها استحقت هذه السخرية.

ـ آسفة يا سيدي.

ـ بالله عليك توقفي عن دعوتي «يا سيدي» طوال الوقت!

ـ حاضر سيد غاريت.

ـ ولا هذا أيضاً!

وأخفت ابتسامة.. لقد بدا نكداً كطفل استيقظ لتوه من نومه.

ـ لماذا تضحكين؟

فلم تجبه لأنه لن يسر بإجابتها طبعاً. فهزت رأسها، ثم مدت يدها لتصب الشاي، فقال:

ـ اتركيه.. لست عاجزاً... حسناً افعلي ما شئت.

فسارعت إلى وضع الفنجان أمامه مع الطعام الذي راح يتناوله وهو شارد الذهن. فسألته:

ـ هل هذا كل شيء؟

ـ أجل.. شكراً لك.

وتساءلت هل تخبره عن الزي الذي اشترته؟ وهل سينزعج لإثارتها أموراً غير مهمة؟ ولكن قد يغضب إن لم تفعل الآن خاصة إذا شاهد الفاتورة في وقت يكون فيه متوتراً.

ـ حسنا آنسة ويسلر، ماذا عندك بعد؟ ثمة ازعاج آخر؟

وانزعجت لإشارته هذه، فالتمعت عيناها بغضب:

ـ تصرفاتي هنا كانت دائماً نموذجية. كنت أتساءل فقط ما إذا كان عليّ ازعاجك بتفاهات منزلية.

ـ بما أنك قلقة منها فذلك يعني انها ليست تفاهات البتة.

ـ لقد اشتريت زياً جديداً للخادمات. ولم أبحث الموضوع معك لأنني لم أجد حاجة إلى ذلك. فسعر الزي الواحد لا يتجاوز بضع جنيهات.

ـ وما المشكلة إذاً؟

ـ لقد اشتريت ثوبين لكل خادمة، فوجدت أن المبلغ قد تفاقم أكثر مما تصورت.

ـ كان عليك أن تدركي أسعارها قبل أن تشتريها وذلك لن يحتاج إلا إلى عملية حسابية بسيطة.

ـ لم أدرك ذلك قبل الدفع حيث وجدت أن المبلغ كبير.

ـ وكم المبلغ؟

ـ أربعين جنيهاً.

ـ كيف تدفعين مبلغاً كهذا دون إذني، أستطيع خصم المبلغ من راتبك.

فارتفع رأسها بحدة، ولكن عندما رأت لمعان عينيه علمت أنه يحاول إثارتها.. فقالت:

ـ يجب أن تعطيني بعض الصلاحية، لأدير المنزل بحرية.

www.elromancia.com

ـ الحرية يحب أن تكون ضمن المعقول.

ـ يعتبر الأربعون جنيهاً مبلغاً زهيداً بالنسبة لك؟

ـ لا تنظري إلى الأمر من جهة ثرائي فالمبلغ إما أن يكون زهيداً أو لا يكون.

ـ لا يمكننا تجاهل ثراؤك ومركزك، فما هو زهيد لك قد لا يكون زهيداً لعامل مزرعة.

تنهيدته لم تكن غاضبة، ولكنها تشير بوضوح إلى تعبه فقالت سامنتا قبل أن تستطيع منع نفسها:

ـ اشرب الشاي واسترح قليلاً. سأعود لأوقظك عند السادسة.

ـ لو قررت أن أستريح آنسة ويسلر أستطيع أيضاً الاستيقاظ دون مساعدتك.

ـ حاضر سيد غاريت، سأتذكر ألا أعرض عليك خدماتي في المستقبل، يا سيدي!

وأسرعت للخروج مغلقة الباب وراءها قبل أن يتمكن من الإجابة. وما إن حلت الساعة السابعة من تلك الأمسية حتى كان الضيوف قد وصلوا. عند الثامنة والنصف قُدِّم العشاء في غرفة الطعام الرئيسية. وبينما كانت سامنتا تشرف على اللمسات الأخيرة للمائدة، وعلى وضع البطاقات أمام المقاعد حسب تعليمات السكرتيرة، أحسّت سامنتا بالانزعاج عندما علمت أن المقعد المخصص لكارول ايڤان كان إلى يمين دايڤد، فهل السبب مفاوضاته مع زوج المرأة أم إعجابه بها ورغبته في أن تكون إلى جانبه؟

وهذا ما دفعها إلى مراقبة كارول أمسية الجمعة ونهار السبت فلاحظت أنها تلتصق بمخدومها غير عابئة بمرارة زوجها ونظراته. ولعل صبر زوجها مرده إلى يقينه من أنها ملك اشتراه لن يتخلى عنه

أبداً فهو له أولاً وأخيراً.

ولاحظ لوغان كذلك تصرفات كارول ايڤان تجاه مخدومه، فعلق على ذلك رغم تكتمه، عندما انضم إلى زوجته والسيد موريس وسامنتا لتناول العشاء في وقت متأخر:

ـ لقد رأيتها تضع قرب طبقها دفتراً تدوّن عليه ملاحظاتها، من يراها تفعل ذلك يحسبها سيدة هذه المنزل.

فابتسم السيد موريس:

ـ قد تكون عشيقة السيد غاريت.

فقال الخادم بسرعة:

ـ لم أقصد هذا المعنى.

فضحك الطاهي وقال:

ـ أعلم ما تقصده يا صديقي الطيب. ولكن عندما تعرف امرأة مثل السيدة ايڤان ما تشتهيه من رجل. تحاول أن تجعله يشعر بعدم قدرته على الاستغناء عنها، مستخدمة كل وسائلها.

فوافقه لوغان، ثم نظر إلى سامنتا قائلاً:

ـ أنت محق بهذا. سجلي كلامي.. سوف تستدعيك قبل أن تغادر المنزل لتعطيك رأيها بعطلة الأسبوع. فهي لا تسجل ملاحظاتها بقصد التسلية.

فقالت سامنتا بحزم:

ـ الأفضل ألا تنتقدني. فأنا أعمل للسيد غاريت لا لسواه.

ونظر الثلاثة إلى بعضهم. فأضافت سامنتا مؤكدة:

ـ أعني ما أقول. لن أسمح بأن توجه لي كارول ايڤان الأوامر.

فتمتم السيد موريس:

ـ لو استدعتك لتمنيت أن أكون ذبابة على الجدار لأستمع إلى ما يجري!

ولكن لِمَ يعتمل هذا الغضب كله كيانها؟ أبسبب انتقاد توجهه امرأة لها؟ أم لأن المنتقدة هي السيدة ايڤان نفسها؟ أم أن هناك في أعماقها سبباً ما يجعلها تثور لأقل كلمة وحاولت أن تطمس هذا السؤال الأخير الذي طالما راودها خلال الأسابيع الماضية مجبرة نفسها على المشاركة في الحديث لتغوص في مشاكل الآخرين هرباً من مشاكلها ومشاعرها الخاصة.

ورن جرس الخدم، فخرج لوغان مجيباً ثم عاد بعد لحظة ليقول إن سامنتا مطلوبة:

ـ ثمة خطب ما؟

ـ لا يا آنسة. لكن صديقاً أتى لرؤيتك.

ـ هنا؟

ـ أجل يا آنسة. السيد وبعض ضيوفه كانوا يتمشون في الحديقة عندما وصل سيد يركب سيارة حمراء.

ـ إنه روبن! ما الذي أتى به في مثل هذه الساعة من الليل؟ هل هو في غرفة الجلوس؟

وهز لوغان رأسه، فأسرعت إلى الخروج حيث رأته مستنداً إلى الجدار يتحدث إلى دايڤد غاريت ورجل عجوز. وحياها روبن عند دخولها:

ـ مرحباً.. فوجئت برؤيتي؟

ـ طبعاً. كان عليك إخباري.

ـ لم أكن أعلم أنني قادم. لقد تناولت العشاء عند البروفسور كونوزي، ودفعتنا زوجته العجوز إلى الخارج عند التاسعة والنصف. بسبب قلقها المتزايد عليه منذ إصابته بالنوبة القلبية الأخيرة. وبما أن السهرة كانت في أولها فقد قررت أن أتجول بالسيارة التي قادتني إلى هنا.

فابتسمت قائلة:

ـ إذن عليك أن تتابع المسير خمسة عشر يارداً حتى تصل إلى غرفة جلوسي.

وسأل دايڤد غاريت بسرور:

ـ ولمَ العجلة! السيد برايمروز كان يخبرنا عن طريقة تعامله مع إضرابات الطلبة.

ـ لم يواجه أية إضرابات، ولو حصل هذا فسيكون أول المشاركين.

وضحك الرجل العجوز الواقف قرب دايڤد غاريت:

ـ لقد سمعت أنك طالبة أيضاً آنسة ويسلر. ويجب أن أقول إنها مغامرة أن تقبلي بمثل هذه الوظيفة.

فتدخل مخدومها:

ـ الآنسة ويسلر فاعلة خير. إنها تحل هنا محل صديقة لها.

وأحسّت سامنتا بالنظرات التي توجهت إليها من الموجودين في الغرفة، كذلك أدركت أن روبن لم يكن يعرف أنها تعمل مدبرة منزل. فوضعت يدها في ذراعه. ولكن مرة أخرى منعت من التحرك، إذ قال دايڤد غاريت:

ـ لِمَ لا تتناول كأس شراب آخر معنا سيد برايمدون قبل أن تذهب.

ـ لا.. شكراً... سامنتا على حق.. فليس من اللياقة أن أتطفل عليكم. كنت أنوي الدخول من الباب الجانبي، ولكنني لم أعرف موقعه.

وردّت عليه سامنتا:

ـ إنه خلف المنزل.

وقال دايڤد غاريت، بلهجة ساخرة لا شك فيها.

www.elromancia.com

ـ لا تنزعجي من صديقك. لقد وصل بينما كنا نتمشى في الخارج وأصرّينا على أن يدخل معنا لتناول الشراب. ولا يجب أن تضعي بيننا موانع أكل عليها الدهر وشرب.

ـ إنها ليست موانع اجتماعية يا سيدي، بل هي موانع العمر.

فضحك روبن لمضيفه وقال:

ـ واو.. عندما تكون سامنتا متأهبة للجدل فالأفضل ألا تجاريها. شكراً لك سيد غاريت، أتمنى أن تزورني عندما تكون قريباً من الجامعة.

ـ سأكون سعيداً.. فالجسم الطلابي هو الوحيد الذي لا أعرفه بعد.

ـ سيكون رائعاً لو ألقيت محاضرة هناك، فلدينا نقص في المحاضرات المثيرة للاهتمام.

ـ لا أظن أن ما سأقوله قد يكون مهماً لطلابك.

ـ بالعكس، أنت شهير في عالم المال وسيتوقون إلى سماعك.

فابتسم دايفد غاريت:

ـ وسيكثرون من الأسئلة أيضاً.

ـ أنا واثق بأنك قادر على التعامل مع السائلين.

فتدخلت سامنتا؛ وهي متشوقة لإنهاء هذا الحديث:

ـ هيا بنا روبن.

لهجتها، وضغطها المصمم على ذراعه جذباه إلى الباب. وعندما أصبحا وحدهما انفجرت غاضبة:

ـ لم يكن من حقك المجيء إلى هنا دون الاتصال أولاً! ولا تدّعي أنك مررت صدفة من هنا، فأنت قصدت المجيء فعلاً.

ـ وهل ذلك جريمة؟ فأنت موظفة لا عبدة. فلماذا لا أستطيع زيارتك؟

ـ لا سبب يمنع إطلاقاً، ولكن يجب عليك على الأقل التأكد من أنني أريدك أن تأتي!

وبدا لها مرتبكاً إلى درجة جعلت غضبها يتلاشى، فعلى كل الأحوال لم يرتكب جريمة. وهي ما كانت لتغضب لو كانت وحدها في المنزل.

ـ أتريد شيئاً من الطعام؟

ـ بقايا مائدة الأثرياء؟

وضحك.. وضحكت بدورها:

ـ هناك بعض الكافيار. أستطيع أن أقدم لك ملعقتين كبيرتين منه.

ـ ما هذا السخاء!

وتبعها سعيداً إلى المطبخ الذي كان فارغاً، لأن السيد موريس وآل لوغان كانوا قد ذهبوا للراحة الآن. وحضرّت سامنتا القهوة، وقدمت له بعض الحلوى التي بدأ بالتهامها ما إن وضعتها أمامه. وتمتم وفمه مليء:

ـ أستطيع أن أرى حسنات العمل هنا. فهذا أفضل مما يقدم في الجامعة.

ـ بالله عليك توقف عن الكلام مثل طالب لم يتخرج بعد. فأنت كبير على هذا التصرف.

ـ ولكنك أنت لم تتخرجي بعد. أريدك أن تتذكري هذا.

ـ وماذا تعني؟

ـ أعني أن أصدقاءنا الأثرياء السمان في الغرفة الأخرى ليسوا مثلك.

ـ إنهم أثرياء.. ولكنهم ليسوا سماناً. وإذا كنت تعترض على مالهم، فلا تتناول طعامهم.

www.elromancia.com

- لم أتصور أنه سيأتي يوم أسمعك فيه تدافعين عن الرأسماليين!

- مضحك جداً.

- إنه ليس كلاماً مزعجاً، وهو لا يستحق هذا الغضب كله. هل أنت مغرمة بفتانا الثري...؟

- هل جننت؟

- لِمَ تقولين ذلك. إنه استنتاج منطقي فهو شاب وسيم موهوب جسدياً ومادياً لكنه يكبرك سناً.

- الرابعة والثلاثون ليست سناً متقدمة. وأنت لست صغيراً كما تحب أن تتظاهر. فأنت في الثامنة والعشرين، إذا كنت أتذكر تماماً.

وضرب روبن جبهته:

- الفتاة تذكرت عمري! ربما قد أحبتني بعد كل هذا.

- أحبك إلى حد أن أقول لك: لا تكن أبله.

وجلست معه إلى الطاولة وصبت فنجاني قهوة، فسألها روبن:

- وهل كنت أبله؟ أنت لم يزعجك فارق العمر من قبل. لكنك عندما دخلت إلى غرفة الجلوس، ووجدتني أتحدث إلى مخدومك بدا أنك ستقتلينني.

- ربما ذلك عائد إلى أنني هنا مكرهة.

ولم يخفِ روبن دهشته عندما أخبرته الحقيقة منذ قدومها إلى الآن.

- أوَ تظاهرت بأنك أكبر عمراً وأكثر بشاعة؟

- بل أوهمتهم أنني امرأة عادية في منتصف العمر. وكنت سأنجح لولا مجيء مادلين.

- اه... أجل... زوجة الأب الشريرة التي تركت البيت بسببها، أليس كذلك؟

- لا... أنا هنا بسبب كوليت إيكنز. مع أنني ما كنت لأبقى في

المنزل في كل الأحوال. ولكن مادلين ليست شريرة إنما متسلطة قليلاً.

- وماذا ستفعلين عندما ينتهي عملك هنا؟ أيلول لا يزال بعيداً.

- سأحصل على وظيفة أخرى.

- ألا يستطيع فتاك الثري الساحر أن يجد لك وظيفة أخرى؟

- لا أريد أن أستمر في العمل معه، فعندما أنهي مهمتي. لا أريد رؤيته ثانية.

- ولماذا؟ إنه يبدو شاباً لطيفاً، وذكياً أيضاً.

ورفع روبن حاجبيه مستغرباً، فأدركت أنها قالت أكثر مما يلزم، وتصاعد الدم إلى وجهها.

- وهل أغرمت به؟ لقد كنت محقاً من اللحظة الأولى.

ووضعت سامنتا فنجانها فوق الصحن. رغبتها في الصراخ في وجه روبن لنفي قوله غمره صمت مطبق يشوبه ألم جارح، ألم لم تسببه ملاحظة روبن بقدر ما سببه واقع أنها ملاحظة مرعبة وصحيحة...

إنها فعلاً تحب دايفد غاريت. منذ أن رأته أول مرة شعرت بشيء غير طبيعي تجاهه، ولغبائها اعتقدت أن شعورها عائد إلى خوفها من كشف حقيقتها، أما الآن فبانت الحقيقة أمام ناظريها. فخوفها يرجع إلى شخصيته الجذابة الساحرة التي اخترقت حصون قلبها، فبعد أن أيقنت أن الحب وهم من نسج الشعراء أو أنه حلم يلده خيال الشباب، وجدت أن الحب حقيقة وواقعاً، فهو ليس دفئاً حلواً إنما نار حارقة، وألم كبير يعذب أيامها، ويقلق لياليها، ويمنعها من أن تكون سيدة نفسها أو سيدة رغباتها.

وأخذت تفكر: «لا يمكن أن أحبه.. هذا مستحيل!» فهما مختلفان في وجهات النظر، وليس بينهما شيء مشترك. وبينما

كانت تقنع نفسها بذلك تبين لها أن ما تدعيه غير صحيح، فبينها وبينه قواسم مشتركة عديدة إذ كيف تفسر سعادتها الشديدة كلما حدّثها أو ناقشها بشأن مجريات الحياة اليومية وهو ما كلمها إلا لإيمانه بذكائها وحبه لمشاركتها أفكاره أو فهم مشاكله ولعله تغير مذ زيارة أبيها خوفاً من أن تحبه لمركزه لذاته وتساءلت عن سبب سعادته بصحبتها يوم كانت متنكرة. ألأنها عانس لا تبغي منه مالاً أو حباً؟ أم لأن في قلبه شيئاً تجاهها؟

وتقدم روبن ليقف بقربها ويسألها:

ـ أنت هادئة جداً. . انسي ما قلته يا سامنتا، كنت أداعبك فقط.

ـ لقد نسيت كل شيء.

واستدارت لتنظر إليه، وعندما رأت أساريره قد استراحت من جراء كلامها الأخير تمنت لو أن ما قالته صحيحاً. ولكن سيتطلب الأمر أكثر من رغبتها بنسيان دايفد غاريت حقاً. وهي تعلم يقينا أنها لن تنسى المنزل وصاحبه بسهولة أبداً بعد أن تترك المنزل بل ستبقى زمناً طويلاً بل دهراً تفكر بدايفد وتحن إلى ذكراه.

●●●

١٠ ـ الغريمتان

وانقلب الجو يوم الأحد، فالشمس أزيحت عن الطريق ليحل مكانها غيم رمادي أدكن بعث رذاذ المطر إلى الريف كله. ومع ذلك بقي الجو حاراً جداً، وبدا أن الرطوبة والحر قد ولّدا ازعاجاً عاماً للمدعوين إلى الحفلة.

أمضى دايفد غاريت فترة الصباح وجزءاً من فترة بعد الظهر مع اليكسندر إيڤان ومع معظم الرجال في المكتبة التي أقفل بابها، بينما ركزت النسوة على لعب بعض الألعاب الخفيفة، واختارت واحدة أو اثنتان منهن دخول غرفة البخار ولعبت أخريان لعبة كرة الطاولة.

أما كارول وحدها فقد بدت غير مهتمة بما يفعله الباقون. وبينما كانت سامنتا تتفقد غرف النوم لتتأكد من أن كل شيء على ما يرام بعد أن نظفتها الخادمات. وجدت الفرنسية ـ الكندية، تتجول في الممر، ودفتر الملاحظات في يدها، ولئلا تضطر إلى الحديث معها، استدارت سامنتا إلى أقرب غرفة النوم، لتجد نفسها في غرفة دايفد غاريت.

عادة عندما كانت تدخلها لتتفحصها لم تكن تلاحظ أنها مختلفة عن الغرف الأخرى. ولكنها اليوم بدت لها مميزة أكثر. فلم يعد السرير سريراً عادياً بل سرير فيه نفحة منه، وطاولة الزينة والخزانة ما عادتا قطعاً من الأثاث فقط تتفحص الغبار عليها، بل إنها تحتوي على أشيائه الشخصية. الفرشاة الفضية المقبض، والملابس الرائعة

www.elromancia.com

التفصيل. وانزعجت من أفكارها التي تضغط على نفسها فأسرعت إلى الخروج لتجد أن كارول لا تزال في الممر تدوّن ملاحظاتها. وقالت المرأة بدهشة خفيفة:

ـ آنسة ويسلر؟

ـ لقد كنت أشرف على غرف النوم.

ـ يا لجديتك في العمل!

ـ تبدين دهشة؟

ـ هذا صحيح، فعلى كل الأحوال، أنت لست مدبرة منزل حقيقية، و...

ـ أنا مدبرة المنزل مؤقتاً، أقوم بعملي خير قيام وهذا يجعلني موظفة حقيقية؟

وابتسمت كارول، ثم مررت أصابعها في شعرها الأسود.

ـ أنت تعلمين ما أعني.. لقد أخبرني السيد غاريت أنك ابنة أستاذ جامعي وأنك تقومين بهذا العمل من أجل صديقة لك.

ـ وما الخطأ في وظيفة كهذه؟

ـ يا عزيزتي، إذا كنت تتمتعين في هذا العمل...

ـ ملايين النساء يقمن بهذا العمل.

ـ ليست الذكيات منهن.

ـ لا يمكن للكثير من الناس تحمل مصاريف الخدم هذه الأيام.

ـ أوافقك الرأي ومع ذلك. يمكنك العناية بأمور حياتك دون الاهتمام بالأمور المنزلية.

وأجبرت سامنتا نفسها على السيطرة على غضبها، مقتنعة أنها تحاول إثارتها عمداً. فقالت:

ـ ألم تديري منزلاً أبداً، سيدة ايڤان؟

ـ ليس بالمعنى الذي تقصدينه.. فأنا لم أتزوج !يكسندر لهذا

السبب.

ونظرت إلى العقد الذهبي الذي يحيط بجيدها، وبدا لها سبب زواجها من أليكسندر واضحاً. وهي الأسباب التي يخشى دايڤد غاريت أن تتزوجه امرأة من أجلها، بمَ ستشعر كارول نحوه لو كان أستاذاً جامعياً ذا دخل محدود أو لو كان موظفاً صغيراً، أو حرفياً أو عاملاً فاشلاً؟ وعلقت كارول على شرودها:

ـ تبدين ساهمة جداً آنسة ويسلر؟ أرجو أن لا يكون وجودنا هنا سبّب لك الكثير من العمل؟

ـ لدينا موظفون أكفاء يستطيعون القيام بكل شيء. وأكون متعبة أكثر عندما لا أعمل.

ـ من الواضح أنك من العاملات النشيطات. أنا شخصياً، أتمنى أن لا يقيم دايڤد أي حفلات قبل أن ينتهي تجديد ديكور المنزل. وفي الواقع لن يتمكن من الاستمرار هكذا قبل نهاية الشهر القادم، فجايمس بولدر سوف يجلب فريق عمل إلى هنا.

ـ وكم من الوقت سيبقون هنا؟

ـ شهرين، إذ يجب أن يعاد دهن كل شيء. وسوف يضطرون إلى إزالة بعض الجدران، وسيبنى حوض سباحة في الباحة الأمامية.

ولم تستطع سامنتا إلا أن تقول:

ـ من الأوفر له إذن شراء منزل جديد.

ـ أتمنى لو يفعل.. فأنا أعرف منزلاً رائعاً معروضاً للبيع.. ولكن لسوء الحظ هو متعلق بهذا المنزل، ويحب القرية. وقد يشتري أي منزل في المحيط يعرض للبيع لمنع النبأ من الانتشار.

ـ كم هذا أمر رائع.

ـ كنت أعلم أنك ستفكرين بهذه الطريقة! أنت لست فتاة عاملة

www.elromancia.com

يا آنسة ويسلر فقط بل أنت متمسكة بالمثل العليا أيضاً. هل تظنين حقاً أن بضعة محبين للخير بإمكانهم إيقاف التقدم والعمران؟

ـ ربما الساعون إلى العمران غير مهتمين بالتقدم إنما همهم ملء جيوبهم.

ـ أنت تدرسين التاريخ في الجامعة، أليس كذلك؟ ومع ذلك تتكلمين بذهنية الاقتصاديين اليساريين!

ـ وهل تعرفين الكثير عن الاقتصاد؟

وضحكت المرأة ضحكة قصيرة، فقالت:

ـ بعد الزواج من أليكسندر طوال هذه المدة أعتقد أن بإمكاني أن أدرّس الاقتصاد! لا بد أنك تواقة إلى متابعة دراستك؟

ـ أجل..

ـ هل أنت عضو في مجتمع الجامعة أيضاً؟ يعتقد دايفد أنك مغامرة نظراً للطريقة التي استلمت فيها الوظيفة فعلى ما أعتقد أنك استلمتها عوضاً عن صديقة؟

ـ نعم عوضاً عن امرأة أردت مساعدتها.

ـ ظن دايفد بادئاً أنك اتخذت الوظيفة للتقرب منه. فالنساء غالباً ما سعين إلى التعرف إليه وإلى جذب انتباهه بأساليب قد تدهشك.

ـ لم أكن أعتقد أن مقابلته عسيرة.

ـ مقابلته سهلة إنما التعرف إليه هو الأمر العسير. ويجب أن تعلمي أن مركزك جعلك قريبة منه، قادرة على التعرف إليه. ومن المؤسف أن تكون حيلتك قد كشفت. فقد كان رأيه بك عظيماً إلى وقت قريب. لقد قال إنك أفضل مدبرة منزل استخدمها حتى الآن.

ـ وما زال الأمر هو هو.

ـ أوه بالطبع، لكن تمثيليتك وتصرفاتك جعلته يرتاب بك. وهذا مؤسف حقاً، لأنه أصلاً يرتاب بكل النساء.

ـ لا يدهشني ارتيابه ما دمت قد تعرفت إلى نماذج من نسائه.

واحمرّ وجه كارول ايڤان:

ـ أنت صريحة جداً آنسة ويسلر.

ـ وأنت واضحة جداً سيدة ايڤان. ولكن أؤكد لك. أن لا داعي لقلقك ولخوفك مني.

ـ لا حاجة لك لتخبريني بهذا!

ـ إذاً، لماذا تحذرينني؟

ـ لأنني قلت إنك صريحة؟ يا عزيزتي يدهشني ذكاؤك ولكن إن أردت الصراحة فأنا أقول لا تعدي نفسك بالنجوم، فعملك عند دايفد لن يخولك دخول حياته. أنت صغيرة وجميلة، ولكنك لست أجمل الجميلات.

ـ إذن لا مبرر لخوفك أليس كذلك؟

ـ أنا أحذرك، آنسة ويسلر، أنا لا أحب أن أرى أحداً يؤذى دون داعي. ومشاعرك كانت واضحة لي منذ أسابيع.

ـ هذا ليس صحيحاً... فأنا لم أعرف ما هي مشاعري حتى..

وأدركت متأخرة أنها قد وقعت في الفخ الذي نصبته لها كارول، فقد التمعت عينا المرأة بالخبث، وهي تقول:

ـ إذاً أنت تحبينه! لقد أدركت مشاعرك قبل أن تدركيها أنت نفسك، إذ كان في عينيك، ونظراتك إليه عاطفة ما.

ـ إنها نظرة عرفتها جيداً لأنني رأيتها في عينيك أيضاً.

ـ ولكن نظرتي إليه، تلقى الترحيب والتجاوب وهذا هو الفرق بيننا فلا تنافسيني يا آنسة ويسلر لأنك لن تصلي إلى مرتبتي.

فردّت عليها سامنتا وهي ترتجف:

ـ أرجوك... لا فائدة ترتجى من هذا الحديث.

ومررت يدها على جبهتها التي تبللت بالعرق، لماذا تتحدث مع

www.elromancia.com

كارول بهذه الطريقة الصريحة المنافية للعقل؟ تتبادلان الاعتراف بحقائق لا تريد أي منهما أن يعرفها أحد؟ فهل السبب هذا الجو الخانق أم أنه دافع فطري هو المعركة الأزلية بين امرأة وأخرى بشأن قلب رجل متعجرف غير مهتم؟

وسمعتا وقع خطوات فاستدارتا، وارتجفت سامنتا لمشاهدة مخدومها يتقدم نحوهما. كان يرتدي سروالاً قصيراً وقميصاً أبيض قد بلله العرق. فوجه كلامه إلى كارول متجاهلاً سامنتا:

ـ لقد ظننتك تلعبين الورق مع النساء الأخريات؟

ـ لقد كنت أراجع الملاحظات التي سأعطيها لجايمس بولدر.

وشبكت ذراعها بذراعه، ثم كشرت:

ـ حبيبي.. أنت مبتل كالسمكة.

ـ لا بد أنك ستصبحين كذلك إذا لعبت ساعة لعبة السكواش.

ـ وهل فزت؟

ـ بالطبع، فأنا لا ألعب إذا اعتقدت أنني سأخسر.

ـ وهذا لا ينطبق على لعبة السكواش فقط.

ولم تعد سامنتا تطيق الوضع فقصدت رأساً غرفتها حيث فتحت نافذتها متأملة النهر البعيد المغطى بالضباب وتصاعدت من الأرض رائحة الأرض وأريج أزاهير الأشجار غير المتفتحة كحياتها فمن الغريب وقوعها في حب رجل يختلف عن كل تصوراتها وتوقعاتها. لقد كانت قانعة بحياتها مع والدها، تتطلع إلى نيل درجة تخرجها غير عابئة بالحب أو الزواج معتقدة أنها قد تحب رجلاً أكاديمياً في مثل عمرها أو يكبرها ببضع سنوات. ولم تفكر حتى في أكثر أحلامها جنوناً، أنها قد تقع في حب رجل ديناميكي مغامر، تصرفاته الهادئة غطاء ظاهري لطموحه العميق الجارف.

ودق الباب، ودخل منه لوغان وهو يقول لها:

ـ السيد غاريت يريد رؤيتك بعد ذهاب الضيوف الذين ذهب بعضهم الآن.

ـ حسبتهم سيبقون إلى العشاء؟

ـ هؤلاء يحبون الريف عندما تكون الشمس مشعة فقط! أما عندما تتساقط بضع قطرات من المطر فهم يفضلون العودة إلى الشوارع المزدحمة بالسير، المليئة بدخان المصانع والسيارات.

وأثناء ذهابها إلى المكتبة راودها شعور بأن كارول قد تذمرت له من فظاظتها معها ولو وجدت ذلك فعلاً سيتوجب عليها لا شرح ما قالته فحسب بل سبب قولها أيضاً، ولكنها لسبب ما توقعت ألا تذكر الفرنسية ـ الكندية شيئاً.

ودقت باب المكتبة ثم دخلت.

ـ هل أردت رؤيتي سيدي؟

ـ أجل.. ادخلي واجلسي.

وجلست على كرسي بعيدة عنه قدر الإمكان فهذه المرة الأولى التي تكون فيها معه منذ أن عرفت أنها تحبه. وخفق قلبها صاخباً إلى درجة أنها لم تعد تسمع أي صوت غيره. «يا إلهي كيف يمكن أن أحبه فأنا لا أكاد أعرفه أو أفهمه». ونظرت إليه من تحت رموشها. حيث وقف قرب الطاولة، مسنداً جنبه إلى حافتها، مرتدياً ثياباً عادية، سروالاً وقميصاً ولكن يبدو عليه التوتر. أصابعه تطرق نغمة ناعمة متواصلة على سطح الطاولة، وكأنه يوشك أن يصرفها من العمل.

ـ السيدة ريبي.. مديرة منزلي في لندن، دخلت المستشفى فجأة بسبب نوبة حصى في المرارة. وستجرى لها العملية غداً. لقد تلقيت مخابرة من خادمتي هناك منذ نصف ساعة.

وبدا على سامنتا العطف، ولكنها بقيت صامتة، غير متأكدة مما

يجب قوله. فتابع كلامه:

ـ لقد مرضت في أسوأ وقت ممكن. فليالي هذا الأسبوع حافلة بحفلات العشاء.

ـ ألا تستطيع أخذ ضيوفك إلى الفندق؟

ـ بالطبع أستطيع! لكن المسألة أنني لا أريد أخذهم إلى مطعم أو ما شابه نظراً لأهمية هذه الحفلات، وأطلب منك الذهاب معي إلى لندن لتتولي أمر المنزل إلى أن تستعيد السيدة ربيي صحتها.

وابتلعت سامنتا ريقها بصعوبة، فهذا آخر شيء كانت تتوقعه.

ـ أنا؟

ورد عليها بلهجة جافة:

ـ وهل بإمكانك اقتراح أحد أفضل منك؟ وبغض النظر عن سبب عملك عندي إلا أنك الآن مدبرة منزلي.

ـ في قصر بارتهام فقط.

ـ لو أن الآنسة ايكنز هنا لتوقعت منها العناية بي أينما كنت.

ولم يضف شيئاً، وعلمت أنه ينتظر ردها، لكنها لم تستطع القبول فأنى لها العيش معه، إن فكرة البقاء بقربه كل يوم ملأتها رعباً.

ـ قد أجد لك بديلة إن أردت.

ـ ولماذا لا ترغبين في ترك هذا المكان؟ فلندن لا تبعد سوى ساعة وأنا واثق بأن صديقك لن يعتبر وجودك في لندن عائقاً.

وأخفضت عينيها، مسرورة لأنه فهم أن ترددها نابع من عدم رغبتها في الابتعاد عن روبن. وكأنها قد تهتم فيما لو عاش في التيبت! وتابع دايفد غاريت كلامه:

ـ حسناً.. هل ترين أن البعد جفاء ونسيان؟

ـ لا تبعد لندن أكثر من ساعة، ولن ينساني.. هل تريدني أن

أذهب معك إلى لندن في الصباح يا سيدي؟

ـ أجل أرجوك، ولا تناديني يا سيدي.

ووفقت مرتجفة أوصالها.

ـ سأكون مستعدة في وقتك المحدد عند السابعة.

ـ بل الأفضل في الثامنة.

وعندما سارت نحو الباب استوقفها بإشارة من يده:

ـ عمَّ كنت تتحدثين مع السيدة ايڤان في الممر؟

ولم تعِ ما إذا كان السؤال بريئاً أم يكمن خلفه معرفة، فردت دون اكتراث قائلة:

ـ كنا نتحدث عن السيد بولدر الذي سيبدأ العمل على ما يبدو قريباً لمدة شهرين.

ـ هل أنت موافقة على مشاريعه؟

ـ ليس من شأني الموافقة أو عدمها.

ـ أعلم هذا! ولكنني أريد جواباً.

ـ السيد بولدر مهندس ديكور جيد. ولكن بعد أن ينتهي ديكور المنزل قد تجده ملائماً لشخصية السيدة ايڤان أكثر مما يلائمك أنت نفسك.

وابتسم ابتسامة عريضة:

ـ أنت صريحة جداً.

ـ وهذا ما قالته السيدة ايڤان.

ـ إذاً كنتما تتجادلان؟ فهذه الملاحظة توجهها كارول دائماً إلى من هو أفضل منها!

ـ إذاً، أعتقد أنها نادراً ما تقول مثل هذه الملاحظة!

فضحك ثم توقف فجأة، وكأنما انزعج من نفسه:

ـ سأراك في الصباح، آنسة ويسلر.

www.elromancia.com

ـ نعم سيد غاريت.. هل هذا كل شيء؟

فقال ببرود:

ـ سأزيد راتبك خلال إقامتك في لندن.

ـ لن يكون هذا ضرورياً.

ـ أنا أقرر ما هو ضروري آنسة ويسلر وبما أنك ستستلمين مهمة السيدة ريبي فهذا يعني أنك ستقبضين راتباً يماثل راتبها.

ـ وما هي أيام عطلتي يا سيدي؟

ـ لستُ أدري، ولكنك تستطيعين استقبال صديقك أثناء غيابي. فليس من عاداتي أن أمنع العاملين عندي من استقبال أصدقائهم شرط أن يتم ذلك بتحفظ.

واحمّرت وجنتاها.

ـ أشكر لطفك يا سيدي، روبن ليس من النوع الذي ينتظر أمام باب الخدم.

ـ إذن هو شخص مميز.

ـ نعم في الوقت الحاضر.

ـ أي إلى أن يجيء غيره، كما أعتقد؟ فمن هم في مثل جيلك لا تستمر علاقاتهم مدة طويلة.

ـ ولكنهم يهتمون بهذه العلاقات. كما أن صديقي غير متزوج!

وتوسعت فتحتا أنفه:

ـ ماذا تقصدين؟

ـ لا شيء.. كنت أبدي ملاحظة عابرة.

ـ أنت تغيرين مواقفك بسرعة يا آنسة ويسلر. ملاحظاتك ليست عابرة أبداً. وأحب أن توضحيها.

ـ لم يكن يجب أن أقولها.

ـ ولكنك فعلت. وأنا أريد التوضيح حالاً.

واقترب منها، ساداً طريقها إلى الباب، فقالت:

ـ حياتك الخاصة هي شأنك الخاص، ولكنها لا تعطيك الحق في حياتي. وإذا أحبني روبن فهذا لا يعطيك الحق في أن تبدي ملاحظات جارحة خبيثة عن تصرفاتي. فكيف ستشعر لو أنني لمتك على الطريقة التي تقحم بها السيدة ايڤان في حياتك.

فسألها:

ـ لدي انطباع أنك تلوميني، وأنك لا توافقين على علاقتي بها.

ـ أنا لا أعرف شيئاً عن علاقتك بها!

ـ ولكن ذلك لم يردعك عن إبداء ملاحظات بشأن الأمر. فعلى ما يبدو أن مخيلتك كانت تعمل وقتاً إضافياً، ولقد استنتجت ذلك من نظراتك إليّ. أَوَ تظنين أنني وكارول عشيقان؟ أيعقل أن نقيم علاقة على مرأى من زوجها الغيور الظنون؟

ـ لا يهمني الأمر أبداً ما دمت لا تريد أن تجعل مدبرة منزلك طرفاً في الأمر.

ـ أشك بأنني قد أحتاج مساعدتك يوماً بشأن علاقاتي الغرامية أيتها الآنسة.

ـ أحمد الله على ذلك، فأنا لا أعترض على العناية بموائدك. أما الاهتمام بفراشك فهذا لن يحدث أبداً.

فجاوبها بشراسة:

ـ ألن تفعلي؟

وتقدم نحوها ليمسك كتفيها بخشونة:

ـ ألا ترغبين في الاهتمام بفراشي؟ علماً أنني كثيراً ما أشعر أنك ترغبين فيه أشد الرغبة.

فصرخت به:

ـ كيف تجرؤ على هذا القول؟ أنت مجنون!

www.elromancia.com

ـ وهل أنا كذلك حقاً؟

وشدها إليه بقسوة ثم راح يعانقها بقسوة. وعندما حاولت المقاومة جذبها إليه أكثر فأكثر حتى منعها من الحراك، مثبتاً جسدها النحيل إلى الجدار، ساحقاً صدرُه صدرها وقد أحكم الإمساك بخصرها. ولما زادت مقاومتها ازداد التصاقه بها مما أثار فيها مشاعر دفينة لم تود أن تشعر بها، مشاعر خانت مشيئة سيدتها وخضعت باستسلام وشوق بين يديه هو وحده.

ـ كنت أعلم أن هناك عاطفة خلف هذا التحفظ كله. وقد شككت بالأمر دائماً رغم تخفيك.

وبحثت عن جواب يؤلمه إلا أن الكلمات عصتها. فقد صدمها عناقه الفجائي ولم يعد يهمها الآن سوى الهرب والاختباء. وقال لها:

ـ كوني مستعدة عند الثامنة صباحاً، سأراك غداً.

ـ حاضر سيد غاريت عمت مساء يا سيدي. أتمنى أن تنام جيداً.

ـ سأنام هنيئاً فالأرق لا يزعجني أبداً

ـ ولا الضجر أيضاً..

وأغلقت الباب وراءها.. وفي الردهة استندت إلى الحائط وهي تشعر بضعف في ساقيها يمنعها من أن تتابع طريقها. يا لسخرية القدر! كيف ستعيش معه في منزله في لندن وأنّى لها احتمال قربه منها.

وأقسمت «يجب أن أتعلم كيف أتحمل... ويجب ألا يعرف شعوري نحوه... أبداً!»

وتقدمت من السلم ببطء وبدأت تصعد الدرجات.

●●●

١١ ـ لن تبكي من أجله

جلست سامنتا، خلال رحلتهما إلى لندن هادئة قرب دايفد غاريت في المقعد الخلفي للرولز. أما هو فقد فتح مستنداته وراح يدرسها ناسياً كل شيء. وكم أدهشتها قدرته على نسيان وجودها فيما هي ترتجف لقربه منها، متمنية أن ترمي نفسها بين ذراعيه.

هي.. سامنتا ويسلر... الفتاة الشابة الخالية من الهموم، تجد نفسها غارقة حتى أذنيها في الهموم. من المذلة أن تعترف بهذا خاصة وهي تعرف كيف سيتلقى إخلاصها إذا اكتشف أمرها.

وما إن وصلا إلى ضواحي لندن، حتى رفع رأسه عن أوراقه، ليلتفت إليها موجزاً لها واجباتها. ولم تبدُ لها هذه الواجبات مختلفة عن واجبات المنزل الريفي.

وأوصلها إلى ردهة المنزل الخارجية حيث تولى خادم ياباني صغير حمل حقائبها ثم تابع طريقه إلى مكتبه. وشعرت سامنتا بالضياع والوحدة وهي تدخل المطبخ لتحيي الطباخ الفرنسي السيد موريس الذي بدا السيد المطلق في هذا المنزل ولكنه حياها بكل عاطفة. مما أسعد سائر الخدم الذين، دون شك، كانوا يتساءلون كيف سيستقبل الطاهي المزاجي مدبرة المنزل الجديدة؟

وشعرت سامنتا بالسعادة فلحقت بالصبي الياباني إلى غرفتها التي لم تكن تطل على منظر ساحر كما الحال في غرفتها في بارتهام،

www.elromancia.com

ولكنها غرفة كبيرة حديثة جداً. وسارعت إلى توضيب ملابسها، ثم بدأت تتفحص المنزل. كان المنزل كبيراً فيه مصعدان يصلان بين الطوابق الأربعة. واحد في جناح الخدم وآخر يقع في الجزء الرئيسي من المنزل. أمّا المطبخ فيقع في الطابق الأرضي له مصعد صغير مجهز بفرن كهربائي معد لإيصال الطعام إلى غرفة الطعام في الطابق العلوي التي تعتبر بهجة للعين بسبب أوراق الجدران الملونة والسجاد الصيني السميك.

ومع أن السيدة ريبي قد دخلت إلى المستشفى على حين غرة، إلا أنها تركت لائحة تعليمات تتعلق بالحفلات التي ستقام في الأسبوع القادم. ودرست سامنتا تلك الملاحظات بعناية. وهي تتساءل ما إذا كان دايفد جاريت يستخدم الناس الذين يوافقون مزاجيته ومتطلباته أم هم يروضون أنفسهم ليجعلوها كما يريد هو. في كلا الحالين، يبدو أنه يحصل على ما يريد بالطريقة التي يريدها، سواء في لندن أم في الريف.

بعد الظهر، حيث كان أمامها بضع ساعات من الفراغ، ركبت سيارة أجرة إلى شارع «الملك». ثم أخذت تسير فوق الأرصفة المكتظة. وهي تحس بسعادة عارمة لوجودها بين الشبان والشابات الذين هم في مثل عمرها ثم عادت على مضض إلى ساحة «انيون» وما إن وصلت حتى لفت نظرها ثوباً في واجهة أحد المحلات، ذا لون أخضر ساحر يذكرها بأشجار الربيع الخضراء. وراحت تتأمله لحظات، ثم تملكها الاغراء فدخلت.

بعد نصف ساعة كانت تصعد درج المنزل حاملة علبة تحوي الثوب الذي إشترته وعلى وجهها ابتسامة عريضة. وبينما كانت تبحث عن المفتاح، لمحت من طرف عينها سيارة الرولز الرمادية الفضية تتوقف خلفها، ويبرز منها جسد دايفد غاريت الطويل

النحيل، الذي دنا منها وفتح الباب، فسألته:

ـ لقد عدت إلى المنزل باكراً يا سيدي.

ـ سيصل ضيوفي عند السادسة والنصف.

ـ ولكن العشاء لن يقدم قبل الثامنة والنصف.

ـ أعرف هذا يا آنسة ويسلر، ولكننا سنعقد اجتماع عمل قبل هذا.

ـ ألا تقيم الحفلات أبداً طلباً للمرح؟

ـ العمل هو مرحي.

ولاحظ العلبة التي في يدها، فسألها:

ـ هل هذا ثوب خاص للقاء صديقك؟

ـ ألا ترتدي صديقاتك ثياباً خاصة لك؟

ـ يفضلن عدم اللبس.

وابتعد عنها، قبل أن ترتد إليها أنفاسها وأسرعت إلى غرفتها وما زالت الشهقة تخنقها بسبب هذه الإجابة. ووصل أول الضيوف عند السادسة تماماً. ولم تخرج سامنتا لرؤيتهم. ولكن أصواتهم أبلغتها بأنهم أميركيون. وقدم جاكسون، الخادم الأكثر تزمتاً من لوغان المشروب لهم في غرفة الاستقبال حيث تلقى أمراً بأن لا يعود إلا إذا طلبوه، إشارة إلى أن الحديث سيكون سرياً. وبعد ساعة وصل عدة ضيوف آخرين. وبدأت الحفلة، وكانت أصواتهم تصل إلى مسمعي سامنتا رغم ضجة المطبخ حيث كانت تشرف على تجهيز الطعام.

ولم تذهب إلى الفراش قبل منتصف الليل، لكن توترها وتعبها جعلاها غير قادرة على النوم، فاستلقت على الفراش تستمع إلى السيارات المغادرة.

قبل السابعة من صباح اليوم التالي كانت قد ارتدت ثيابها وهيأت

www.elromancia.com

نفسها ومع أن الجو كان حاراً إشارة إلى يوم جميل، إلا أنه لم يكن يحمل النقاء الذي اعتادته في الريف ورأت أنها لن تحب العيش أبداً في لندن وسط ضجيج السيارات المتواصل والدخان الذي لا يفارق السماء.

كانت تقف في المطبخ عندما جعلها صوت دايفد غاريت الهادىء تقفز مجفلة:

ـ هل من عادتك الاستيقاظ باكراً هكذا؟

كان يرتدي اليجاما وفوقها مئزر قصير حريري لم يدون عليه الحرفان الأولان من اسمه، فسألها لما وجد الابتسامة على وجهها.

ـ لماذا تبتسمين؟

ـ كنت أفكر بأنك لا تضع حرفي اسمك على كل شيء.

ـ سأطبعهما على الرولز إذا أحببت. أعتقد أنني استيقظت باكراً فأنا لا أتناول فطوري قبل الثامنة.

ونظرت إلى ساعتها:

ـ أمامك ساعة إذاً، ولكن إذا أخبرتني ما تحب. سأحضره لك. فأنا لا أعلم متى سيصل السيد موريس.

ـ إنه لا يحضر الفطور أبداً. فهذا واجب السيدة جاكسون. التي تعيش مع زوجها في الشقة الواقعة فوق الكراج، وهي تأتي إلى هنا عند السابعة والنصف.

ـ أنت توظف العديد من الأشخاص.

ـ لقد قلت هذه الملاحظة من قبل، وأظن أنك لا توافقين؟

ـ ليس من شأني الموافقة أو عدمها.

ـ ثمة أشياء كثيرة لا شأن لك بها ومع ذلك تطرحين رأيك بشأنها ثم تقفزين إلى استنتاجات خاطئة.

ـ أستطيع قول الشيء نفسه عنك.

واستدارت لتملأ الابريق الكهربائي بالماء، ثم راحت تبحث بين الأوعية الزجاجية عن فنجاني قهوة، فقال:

ـ أعتقد أنك تلمحين إلى تعليقي بشأن صديقك؟ فهل أنا مخطىء في هذا؟

ـ أجل إنه صديق عادي، ليس إلا، ولدي الكثير من الأصدقاء.

ـ أتعنين أنك تتلاعبين بالكثير منهم؟

وغضبت لأنه تعمد إساءة فهمها، فضربت الفنجان فوق الصينية:

ـ لم أقصد هذا على الإطلاق! فلدي صديقات وأصدقاء. لا أكثر ولا أقل.. لم تقل إلى الآن ما تريد للفطور.

ـ عصير البرتقال وقهوة. فلست أرغب في الطعام الآن.

وتثاءب قليلاً ثم قال:

ـ لقد نمت نوماً عميقاً، ومع ذلك أشعر بالتعب.

وأخرجت بضع برتقالات من البراد وقالت:

ـ هذا لأنك تجهد نفسك بالعمل.. ولديك حفلة أخرى هذا المساء.

ـ وغداً وبعد غد أيضاً، وهذا يذكرني بأنني سأتغدى في المنزل اليوم مع السيدة ايڤان. فليحضر غداءاً بارداً لو سمحت! على أن يكون طعاماً يخولنا خدمة نفسينا دون مساعدة أحد وإذا اتصل بك أحد المراسلين أو الصحافيين ليسأل عني وعن اليكسندر ايڤان فقولي إنك لا تتحدثين إلى الصحافة.

ـ وهل من المحتمل أن يتصلوا بي ؟

فهز كتفيه:

ـ لا يهمهم المتحدث إنما المهم عندهم نيل المعلومات.

ـ سأخبر الآخرين بذلك... ولكن ماذا سنقول إذا سألوا عن السيدة ايڤان؟

www.elromancia.com

ـ أستميحك عذراً؟

وسمعت سامنتا اللهجة الباردة، وأجبرت نفسها على ألا تتأثر بها:

ـ جايمس بولدر ليس بالرجل الكتوم. وأنا واثقة بأنه لن يتردد في إخبار الجميع عن أنّ السيدة ايڤان هي من تختار أثاث وديكورات المنزل الريفي.

وخلع دايڤد غاريت نظارته وضغط على عينيه وكأنهما تؤلمانه، وتمتم:

ـ لم أفكر بذلك. ولو طلبت منه الصمت لازدادت ثرثرته.

وأعاد وضع نظارته وابتسم:

ـ إذا سأل أحد عن السيدة ايڤان فالأفضل أن تقولي إن كل النساء اللواتي أعرفهن بما فيهن أنت يساعدن في اختيار أثاث المنزل وهذا سيبعدنا عن الشبهة.

انشغلت سامنتا بعد ذلك بتفحص الآنية الفضية والشراشف التي استخدمت في الليلة السابقة، ثم اختارت الشراشف التي ستستخدمها الليلة. ثم تفحصت الزهور ووضعت زهوراً جديدة، وملأت الأنية بالقرنفل العطر الذي وصل إلى المنزل صباحاً. وملأت إناء آخر بالورود الجميلة ثم وضعته على طاولة صغيرة في غرفة الاستقبال. ثم خرجت إلى الشرفة المطلة على فناء مليء بأحواض الزنبق. عندما سمعت وقع خطوات خفيفة استدارت لتجد كارول واقفة تحدق إليها بطريقة بغيضة لا توحي بالود أبداً، وسألتها:

ـ ماذا تفعلين هنا؟

ـ أمتع ناظري بجمال الأزهار.

ـ أرى ذلك. إنما أقصد ماذا تفعلين في لندن؟

ـ أعتني بالسيد غاريت خلال مرض السيدة ريبي.

ـ لا سبب يدعو دايڤد لإحضارك إلى هنا. فالسيدة جاكسون قادرة تماماً على تولي الأمر بنفسها.

وقررت سامنتا أن تنقل الهجوم إلى معسكر الأعداء:

ـ ولماذا يقلقك وجودي هنا؟

وللحظة بدا على كارول التراجع، لكنها عادت فاستندت إلى الطاولة الحديدية.

ـ أنت تكرهينني يا آنسة ويسلر. ولديّ شعور بأنك تراقبين كل حركة أقوم بها.

وكان هذا جواباً مباشراً، لسؤال مباشر، مع أن سامنتا دهشت لصراحتها. ولو أنها مكان كارول لماأجابت إجابة كهذه، فقالت:

ـ أؤكد لك أنني لم أجيء إلى هنا للتجسس، والسيد غاريت لا يعتقد هذا أيضاً، وإلا لما طلب مني المجيء.

فأجابتها كارول:

ـ السيد غاريت لا يعرفك.. فأنت لست سوى موظفة عنده.

صحة هذا القول آلمتها، ووضعت سامنتا يديها في جيب فستانها، خشية أن يفضحها ارتجافهما.

ـ في الواقع، لم أشأ المجيء إلى لندن، لأنه يبعدني عن روبن.

ـ الشاب الذي زارك.. أعتقد أنه فاتن، هو ساذج نعم، لكنه فاتن.

ـ إنه أصغر منك ومن السيد غاريت.

ـ لا علاقة للسذاجة بالعمر وأعتقد أن صديقك سيبقى ساذجاً حتى في سن الأربعين.

ـ إنه يعجبني كما هو.

ـ أنت من مستواه ومحيطه.

وهزت سامنتا رأسها وتركت الشرفة فالتقت بدايفد في البهو. فقالت له:

- السيدة ايڤان في الشرفة تنتظرك.

وهز رأسه بكبرياء ثم تجاوزها داخلاً غرفة الاستقبال:

- كارول يا عزيزتي.. أنا آسف لأنني تركتك تنتظرينني.

وأسرعت سامنتا لتبتعد عن مرمى السمع، وهي تتمنى لو تستطيع الخروج من حياته بالسهولة ذاتها.

بعد الغداء مباشرة، دخلت سامنتا غرفة الطعام لتتفحص المائدة، التي أعدت للحفلة. وتقدمت لتصلح موقع بعض الشوك والملاعق متأملة مقابضها الذهبية بإعجاب. ولاحظت أن هناك من يتحرك على الشرفة وكانا كارول ودايفد يتحدثان هناك بعد أن تناولا القهوة، وكانت كارول تقول:

- إن اكتشف أليكسندر الأمر فلن يهمني! أيتوقع مني أن أبقى في المنزل طوال النهار وحيدة؟

- ومع ذلك فليس من الحكمة أن تجيئي إلى هنا وحدك.

- أنت قلق من لا شيء.

- إنه ليس من لا شيء يا كارول.. لو أن...

وخطت سامنتا خطوة قوية ليسمعا وقعها على الأرض فتوقف دايفد غاريت عن الكلام وتقدم نحو النافذة المفتوحة وقال:

- أرجوك أن تأمري بتحضير مكان آخر على المائدة، فالسيدة ايڤان ستتعشى الليلة هنا.

- حاضر سيد غاريت.

إذاً أليكسندر ايڤان مسافر تاركاً زوجته الشابة تتسكع على أكعابها في لندن؟ كم هو أبله ليعتقد بأنها ستقتنع بالبقاء وحدها.. ومن المؤكد أنه يعرف بأن المال وحده لا يمكن أن يُبقي مثل هذه المرأة

مخلصة لزوج عجوز؟ أم أنه يتوقع منها الإخلاص لمجرد أنه اشتراها؟ فهو لم يظهر أي دليل على أنه يغار من دايفد. ربما يعتقد أن سرقة الزوجات أمر لا يحدث بين شركاء العمل. وإذا كان يعتقد هذا فليستعد ليقظة مؤلمة.

ولم تلزمها مخيلة واسعة كي تلاحظ أنهما حبيبان وقد جعلت هذه الرؤيا المؤلمة عينيها تمتلئان دمعاً.

ومسحت دموعها بسرعة، إذ لا يستحق أي رجل البكاء وهو آخر رجل قد تبكي من أجله.

●●●

www.elromancia.com

١٢ ـ فخ الخيانة

كانت سامنتا قد قررت التوقف عن حب دايفد ومع ذلك وجدت مرارة حلوة في العيش على اتصال دائم معه فهي منذ تلك الليلة التي عانقها بها أخذت تحس بوجوده أكثر فأكثر، لا تفارقها صورته وإن غاب عن المنزل.

قررت سامنتا أن تلتفت إلى روبن علها تنسى دايفد. فأخذ يزورها كل ليلة مسروراً بلقائها ورغم جهودها المتواصلة لتتجاوب مع رغبته الواضحة في إسعادها إلا أنها عجزت عن أن تعتبره أكثر من صديق. فقد حولها دايفد غاريت من فتاة صغيرة إلى امرأة مدركة. واعترفت بكآبة أنها لن تستطيع الاستمرار في العمل عنده. لذا يجب أن تترك العمل قريباً حتى لا تنهار أمامه فاضحة مشاعرها.

أثناء انتظارها قدوم روبن بعد ظهر يوم الجمعة، رأت ظل رجلين عند الباب الأمامي. وتقدمت لتفتح الباب، فوجدتهما متشابهين في الطول والملبس وقالا لها إنهما أتيا لمقابلة السيد غاريت.

وتذكرت إشارة دايفد إلى الصحافيين، فنظرت إليهما بريبة وطلبت منهما الانتظار. ثم ذهبت لتبحث عن جاكسون الذي قال لها إن السيد غاريت قد أبلغه منذ ساعة أنه ينتظر وصول رجلين إلى منزله. وأسرعت لترافقهما إلى المكتبة. ثم جلست تنتظر وصول سيارة الأجرة التي ستقلها إلى موعدها مع روبن، فشاهدت طيف

رجل عريض المنكبين، عرفته فوراً، فقالت له بصوت خفيض:

ـ ثمة رجلان ينتظرانك في المكتبة.

وهز رأسه ولكنه لم يتحرك من مكانه، فقد ظهر عليه عدا التعب ملامح الشحوب. وقال لها:

ـ اطلبي من جاكسون أن ينكر وجودي إذا اتصل بي أحدهم.

ـ حاضر سيدي.

وتحرك نحو المكتبة بخطوات بطيئة ثقيلة وكأنه يكره مواجهة الرجلين. فسألته:

ـ ثمة خطب ما؟

ـ لا.. إذا كنت خارجة آنسة ويسلر، فلا تدعي وجودي يؤخرك.

ـ لم يحن الوقت بعد فأنا أنتظر سيارة الأجرة.

ـ الغي طلب السيارة وليوصلك السائق هوارد.

ـ وهل تترك سائقك عادة يوصل مدبرة منزلك؟

ـ أنت لست مدبرة منزل عادية. إلى أين أنت ذاهبة؟

ـ إلى الهيلتون.. مع روبن.

ـ الصديق الدائم! فليرافقك إلى هنا إذا شئت فلن أعترض. فأنا واثق بأنك دائماً حذرة.

فردت عليه ببرود متجاهلة عرضه:

ـ لديك زائران ينتظرانك في المكتبة سيدي.

وقست فجأة تعابير وجهه ولكنه لم يلبث أن تنهد ثم فتح الباب وأغلقه خلفه سريعاً ولكنها استطاعت أن تسمع تحية دايفد:

ـ مساء الخير حضرة المفتش.

عندما أوقف روبن سيارته فيما بعد قرب المدخل الأمامي للمنزل قال ممازحاً:

ـ لن تدخلي من الباب الخلفي هذه الليلة؟

www.elromancia.com

ـ إنه في شارع خلفي. ولا أحب أن أدخل من هناك خلال الليل.

ـ وإن كنت معك؟

ـ خاصة معك؟

ـ أنا سعيد لأنك خائفة مني. فهذا يعطيني أمل بسيط. فالشيء الوحيد الذي لم تقوليه بعد انك تنظرين إليّ كشقيق!

ـ ولكن هذا صحيح.. أنت شقيقي المفضل.

وداعب ذقنها فضحكت، ومات الصوت في حنجرتها عندما فتح دايڤد الباب، ووجهه غاضب:

ـ أفضل ألا يجري هذا أمام باب داري آنسة ويسلر.

فاحمّر وجهها:

ـ روبن كان ذاهباً لتوه.

ودفعته بلطف لينزل الدرج. فقال لها:

ـ يوم الاثنين في الوقت والمكان نفسيهما؟

ـ لا.

ـ إذاً الثلاثاء؟

وهزت رأسها موافقة لأن دايڤد ما زال قربها، وفكرت بالاتصال به فيما بعد لتلغي الموعد، وقد سرها ابتعاد روبن.

ـ أنا آسفة بصدد ما حصل. لم أكن أعتقد أنك ستكون في المنزل باكراً.

ـ أنا لم أخرج.

ـ أنت لم تبق مع الرجلين طوال هذه المدة.. أليس كذلك؟

ـ أجل.. لقد كنت معهما.. وأنا مرهق.

ـ وهل تناولت العشاء؟

ـ بعض السندويشات. فقد خرج آل جاكسون، كما كان يفترض

أن أفعل أنا، وطلبت من إحدى الخادمات تحضير شيء ما.

ـ وهل ترغب في أن أحضر لك بعض العجة؟

ـ لا.. شكراً.

وتحرك نحو المكتبة، ومع أن كلماته كانت قاطعة، إلا أن خطواته لم تكن ثابتة... وتاقت لأن تسرع إليه لتسنده، ولكنها أجبرت نفسها على البقاء حيث هي، ولكن هذا لم يمنعها من الكلام!

ـ دعني أعد لك شراباً ساخناً سيد غاريت.. اجلس وسأحضره لك.

وأسرعت نحو المطبخ قبل أن يعترض، ووجدت بعض الدجاج في البراد، فوضعتها فوق النار وهي تخفق البيض ثم وضعت الأطباق على صينية وحملتها إلى المكتبة:

ـ لقد قلت لك انني لا أريد أن آكل شيئاً.

ووضعت الصينية على طاولة صغيرة، متجاهلة طلبه. ولم تتركه وحده لأن دافعاً ما يفوق سيطرتها ردعها عن تركه، ثم أشارت إلى الصينية بعد أن قعدت على حافة المقعد. فتنهد ثم راح يحتسي مرق الدجاج. ويقطّع العجة ليأكلها. وبعد أن أكل ثلاثة أرباع الطعام وضع السكين والشوكة من يده، دافعاً الصينية بعيداً وقد بدا أقل تعباً. ولكن عندما خلع نظارته ليمسح عينيه وجدتهما حمراوين فقالت بسرعة:

ـ لا تضعهما ثانية. فعليك أن تريح عينيك. يقال إن من الأفضل عدم ارتداء النظارات طوال الوقت.

ـ أراهن أنك اخترعت هذا القول الآن.

ـ وكيف حزرت؟

ـ لأنك أحياناً تكونين شفافة كلوح من الزجاج.

www.elromancia.com

ـ أمل ألا أكون قابلة للكسر مثله؟

ـ ربما كان يجب أن أقول الزجاج السميك المنيع. فالنساء مصنوعات عادة منه. الرجال هم الذين يتحطمون بسهولة.

فتنفست نفساً عميقاً:

ـ عندما تبدأ بالتحليل غالباً ما يكون حكمك سخيفاً.

وفاجأتها كلماتها لذا راحت تتأسف:

ـ أنا آسفة، لم يكن يجب أن أقول هذا الكلام إذ أنسى أنني أعمل لديك.

ـ وأنا أيضاً أنسى. سأستغرب كثيراً عندما تحل مكانك امرأة أخرى. ولا أعتقد أنك قد تقبلين بالوظيفة على أساس دائم؟

ـ سترتاع إذا وافقت. لأن اقتراحك هذا سببه التعب ليس إلا.

ـ أنت محقة تماماً آنسة ويسلر.. أنا لم أقصد ما قلته.

وملأتها لهجته الصارمة سخطاً، فوقفت، وسألها:

ـ لِمَ العجلة؟

ـ ألا تريد الذهاب إلى النوم، فأنت مرهق.

ـ هذا صحيح، ولكنني مرهق إلى درجة تمنعني من النوم.

ـ ثمة خطأ؟

ـ أخشى أن يكون.

ولم يكمل دايفد كلامه، ولم تسأله ماذا يعني. ولكنها لم تستطع إلا أن تسأل:

ـ لقد كانا من رجال البوليس.. أليس كذلك؟

فرفع رأسه، ونظر إليها بعينيه الرماديتين اللامعتين، وتمتم:

ـ القدر يلعب ألعاباً غريبة مع الإنسان فإذا الإمبراطورية التي بناها خلال سنوات وسنوات تضمحل وتضمحل. وكأنها بنيت على رمال متحركة، ورغم مساعيك في سبيل تدعيم أساسها بكل

الوسائل الممكنة، تجدين أن ما من شيء قد يمنعها من السقوط، فإذا بمجهود العمر يُدمر. لست أدري ما هو الأسوأ يا سامنتا أتدمير النفس أم تدمير شخص آخر.

وبدا كلامه موجهاً إلى نفسه أكثر مما هو موجه إليها، فقالت بثبات، وهي تتساءل ما إذا انتبه إلى أنه قد ناداها باسمها الأول:

ـ معظم الأشخاص يفضلون تدمير الآخرين. وهذا يتوقف حقاً على ضميرك.

فتنهد واسند رأسه إلى ظهر كرسيه:

ـ هل لك أن تديري آلة الموسيقى؟ اختاري ما شئت.

وتقدمت من الرف فاختارت معزوفة كونسرتو على الكمان «لايلغار» وصدح صوت الموسيقى في أجواء الغرفة، وبقيت واقفة خلفه تتأمل نور المصباح الذي يشع على شعره الأسود، مقاومة رغبتها العنيفة في تمرير أصابعها فيه. وما إن مرت أمامه حتى مدّ يده ممسكاً يدها فأفقدتها هذه الحركة الفجائية توازنها لكنه سارع إلى جذبها إليه لتقعد على ركبتيه، معانقاً إياها عناقاً دافقاً وكأنه كان جائعاً إلى ملامستها منذ أمد بعيد، بعيد وحاولت المقاومة وما من جدوى فاستسلمت متنهدة بين ذراعيه وقد ذابت روحها ومشاعرها فيه. كانت الموسيقى تطوف حولهما وهما غارقان في عالمهما الخاص ودنياهما الحالمة.

ومضى دهر طويل قبل أن تحرك نفسها بعيداً مرتجفة أوصالها فقال لها بصوت مهتز:

ـ اذهبي إلى النوم ما دمت قادراً على تركك وحيدة.

فقالت له:

ـ لا تمني النفس من جرّاء عناق قصير. فجيلي لا يأخذ الأمر على محمل الجد كما جيلك.. أتذكر؟

www.elromancia.com

ـ لا تخلطي العاطفة الآنية بالأمور الجدية.

فقالت:

ـ خاصة وأن الأمور الجدية هي آخر شيء قد تفكر فيه. أتعلم أنك حكيم لأنك تقيم العلاقات مع المتزوجات.

جوابه كان ضحكة مدوية، رنت في أذنها وهي تصفق الباب وراءها راكضة إلى غرفتها. «يا إلهي كم أحبه! وكم أتوق إلى مواساته والبقاء بين ذراعيه رغم خوفي مما يخبئه القدر في المستقبل».

وجلست على سريرها وهي ترتجف متذكرة ما قاله عن بناء امبراطورية فوق رمال متحركة.. فهل في ماضيه أشباح تترك الآن ظلالاً على الحاضر؟ فقوله يشير إلى أن كل شيء قد بناه سينهار متحطماً فوق رأسه. ولكن إذا كان الأمر كذلك، لماذا يعقد المحادثات مع أليكسندر ايڤان؟ هل هي محاولة لخداع الرأي العام أثناء سعيه إلى استعادة ثروته الضائعة أم أنه يأمل في أن يشتري أليكسندر شيئاً من الحصص لينقذ شيئاً من الانهيار؟ إذ كيف سيكون مستقبله دون السلطة والنجاح؟ وهل ستبقى لديه الشجاعة الكافية ليبدأ من جديد، وهل ستبقى كارول معه؟ وكاد تفكيرها بكارول يقضي على كل شفقة تجاهه ولكن دموعها المنهمرة التي لم تطعها لم تكن في سبيل حبها الضائع إنما خوفاً مما قد يصيبه من أذى.

في الصباح، اتصلت سامنتا بأديث، وطلبت منها أن تذهب لرؤية كوليت ايكنز لتعرف متى تستطيع استلام وظيفتها، فقالت أديث:

ـ لقد رأيتها ليلة أمس. وقال لها الطبيب إن بإمكانها العمل بعد خمسة عشر يوماً، ثمة مشكلة في العمل يا آنسة سامنتا؟

ـ لا مشكلة على الإطلاق. كنت أريد معرفة مدة بقائي هناك.

ـ أوَ سئمت؟

ـ قليلاً.. لقد اشتقت إلى أصدقائي.

وانتهت المخابرة. وهي تفكر بهذه المدة المتبقية غير متأكدة من أنها قادرة على البقاء أسبوعين آخرين. وإن لم تبق فسيشك دايڤد بمشاعرها تجاهه.

وبعد جهد جهيد استطاعت متابعة واجباتها وهي تتأسف لأنها مضطرة لقضاء عطلة الأسبوع في المدينة بدل الريف. وذهبت تبحث عنه فوجدته جالساً على طاولته محاطاً بالعديد من الوثائق. تظهر عليه ملامح الإعياء وكأن النوم هجره كما هجرها، وعندما دخلت سارع إلى الوقوف فكانت أول إشارة تبدر منه على أنها امرأة لا مدبرة منزله. فقالت بسرعة:

ـ بشأن ما حدث ليلة أمس...

ـ أنا مدين لك بالاعتذار. كدت أن أعتذر في الصباح، ولكنني استغرقت في العمل. أعدك بأن لا يحدث هذا ثانية. عذري الوحيد أنني كنت تعباً متكدراً. وهذا ما جعلني معرضاً لـ.. لجمالك الأخاذ.

ـ الأعصاب قد تتلاعب بمشاعر الإنسان. لقد كنت منزعجة أيضاً. وأعتقد أن هذا عائد إلى أنني كنت مع روبن. الذي لا بد قد اشتقت إليه.

ـ لعلي لم أكن بديلاً سيئاً؟

ـ لم تكن سيئاً إطلاقاً بل كنت طيباً إلى درجة جعلتني أخشى خطورة تكرار التجربة. أُعلِمْتُ أن الآنسة ايكنز ستبدأ العمل بعد أسبوعين. وسأبقى هنا حتى ذلك الوقت، على أمل ألا نرى بعضنا كثيراً.

ـ كما تشائين. ولكن كما قلت من قبل. لا يجب أن تخافي من تكرار ما حدث ليلة أمس.

وعـاد إلى الجلوس، ملتقطاً قلمـه، دون أن يرفـع رأسه أثنـاء خروجها.

عند الثالثة صباحاً، أحست بالقلق الشديد فنزلت إلى المطبخ لتحضـر لنفسها كـوباً من الحليب السـاخن. وما إن خـرجت من المطبخ حتى سمعت صوتاً آتياً من الردهة الرئيسية. واقشعر شعر جسدها عندما تيقنت من وجود شخص ما في الجـزء الأمامي من المنزل فتسللت على أطراف أصابعها نحـو الباب لتفتحـه قليلاً، ونظرت من حولها، فلم تجد أحـداً. لكنها سمعت صـوت امرأة يقول:

ـ لا أستطيع البقاء معه بعد الآن! ساعدني يا دايڤد. أنت الوحيد الذي بإمكانه مساعدتي.

الكلمات أوقفت سامنتا في مكانها، مدركة أن من ظنته لصاً لم يكن سوى كارول، التي كانت في غرفة الملابس ولما سمعت وقع أقدامها، عادت إلى غرفة الجلوس، وتركت الباب مفتوحاً. وراحت تسائل نفسها ألا تخشى على سمعتها أبداً؟ وقال دايڤد:

ـ لا تستطيعين ترك أليكسندر الآن. إذ يجب ألا يرتاب بشيء في الوقت الحاضر.

ـ وحتام سأبقى معه؟

ـ سأعلمك عندما يحين الوقت.

ـ هل أنت واثق بأنه لا يشك بشيء؟

ـ بالتأكيد، ولهذا السبب عليك بالبقاء معه في الوقت الراهن. فكل شيء يعتمد على هذا.

وجاء صوت كارول متهدجاً:

ـ حسناً يا دايڤد! لست أدري ما كنت سأفعل دونك.. لو أنني فقط..

وعجزت عن سماع المزيد فتـراجعت بسرعـة مبتعدة. ولكنهـا فوجئت برنين الهاتف فتوقفت مكانها مسمرة. من المتصل يا ترى في مثل هذه الساعة؟ لعلها مخابرة من مكان بعيـد.... أو ربما تتصل بها مادلين لتقول لها إن شيئاً قد حدث لوالدها؟ ولكن سرعان ما توقف الرنين عندما أجاب دايڤد، وما إن انتهت المخابرة حتى سارع إلى القول:

ـ إنها خادمتك.. لقد عاد أليكسندر إلى المنزل.

ـ في هـذا الـوقت من الليـل؟ هـذا مستحيـل! لقـد كـان في اوستراليا. والطائرات لا تصل من هناك في مثل هذه الساعة.

ـ لقد وصل منذ دقائق، ويبدو أنه تعمد التأخر في الوصول من المطار.. تقول الخادمة إنه سألها أين أنت و..

ـ وهل قالت إنني هنا؟

ـ لقد قالت له إنني أخذتك الليلة إلى العشاء. وهو في طريقه إلى هنا الآن.

وشهقت كارول:

ـ يجب ألا يجدني في هذا الوقت المتأخر وإلا سيغضب أنت تعرف كم هو غيور. ولن يصدق بأننا كنا نتحدث فقط.

ـ وخاصة أننا عاجزان عن إخباره عما كنا نتحدث. لقد قلت لك أن تذهبي منذ ساعات.

ـ أعلم.. وأنا آسفة. ولكن ما باستطاعتنا أن نفعل الآن؟ سيصل أليكسندر هنا في أية لحظة.. أو.. يا إلهي!

وسمعت وقع خطوات فوق السجاد، فاستدارت سامنتا بسـرعة راكضة نحو ردهة الخدم. لكن جرس الباب الذي تبعته طـرقات قوية، كأن طارقها ينوي كسر الباب، أوقفتها في مكانها، وسرعان ما خرج دايڤد ترافقه كارول شاحبة كالموتى. فقال لسامنتا:

www.elromancia.com

ـ ماذا تفعلين هنا بحق الجحيم؟

ـ لقد نزلت لتناول قدح من الحليب.

وسرّها أن الكوب لا يزال في يدها، فتابعت:

ـ ثم سمعت أصواتاً فظننت أنه لص، ثم رن الجرس و. . .

وعاود الطارق طرقاته فقفزت كارول من مكانها:

ـ إنه أليكسندر! لو وجدني هنا سوف. .

ـ لا نستطيع تركه في الخارج. . الأفضل أن تختبئي. اذهبي إلى غرفة سامنتا. . لن يبحث عنك هناك.

ـ إذا لاحظ أنك لم تذهب إلى النوم حتى هذا الوقت سيعمد إلى تفتيش البيت زاوية زاوية! أنت لا تعرفه يا دايڤد، انه غيور جداً وربما معه مسدس!

ـ اهدأي!

وأمسكها من كتفيها وهزها ثم دفعها إلى ردهة الخدم وتابع:

ـ سأحاول إلهاءه بالكلام قدر استطاعتي. . اخرجي من المنزل واذهبي رأساً إلى بيتك.

ـ لا أستطيع الذهاب إلى بيتي الآن. سيطلب أن يعرف أين كنت. سأذهب إلى منزل صديقتي ماني بوديك. . لأنني أحياناً أقضي الليلة معها عندما يكون أليكسندر غائباً.

ـ إذاً اذهبي بسرعة.

فتدخلت سامنتا ممسكة بذراع كارول:

ـ سأرشدك إلى طريق الخروج.

فقالت وهي تستدير إلى دايڤد:

ـ لن ينجح هذا خاصة إذا وجدك مستيقظاً حتى هذه الساعة.

وسارعت سامنتا إلى القول ثانية:

ـ سأقول انّه كان معي.

ثم نظرت مباشرة إلى كارول:

ـ اقصدي المطبخ أولاً ومنه اخرجي من المدخل الخلفي وهناك ستجدين المفتاح معلقاً على الجدار بالقرب منه. وعندما تخرجين إلى الشارع الخلفي ستتمكنين من إيجاد سيارة أجرة. وإن رآني زوجك مع السيد غاريت فلن يشك بشيء.

وهزت رأسها وأسرعت نحو المطبخ، وعادت الطرقات بقوة كبيرة. وسارع دايڤد ليفتح الباب بينما دخلت سامنتا غرفة الجلوس وتمددت على الأريكة. التي بدت وسائدها مشعثة. وسمعت قفل الباب يفتح ثم صوت أليكسندر الراعد:

ـ لقد أتيت لأجل زوجتي. . أنا أعرف أنها هنا!

ـ كارول؟ هل تمزح؟ لقد تركتها منذ ساعات.

ـ لا تحاول خداعي! إنها ليست في المنزل وأعرف أنها. . .

ـ لقد أوصلتها إلى منزل ماني.

ـ أوصلتها إلى أين؟

وتوقف ألكسندر، ولكنه كان لا يزال مرتاباً.

ـ إلى منزل ماني بوديك. إنها صديقتها التي غالباً ما تبقى معها خلال غيابك.

فصاح أليكسندر مصراً:

ـ إنها هنا. لا تستطيع خداعي. إنها تضع عينيها عليك منذ أشهر، وأنت تدرك هذا!

ـ إذا كنت تشير إلى أنني على علاقة حب مع زوجتك. .

ـ هذا بالضبط ما أشير إليه. وسأدخل لأثبت هذا.

ورن صدى خطواته في الردهة، وتقلبت سامنتا فوق الأريكة وكانت تشد أطراف الثوب إلى أسفل لحظة دخل عليها الأسترالي الذي توقف عندما شاهدها. ثم أخذ يهز نفسه ككلب يخرج من

www.elromancia.com

الماء.

ـ أنت لست... أنت لست... أين زوجتي؟

ـ وكيف لي أن أعرف؟

وأخذت سامنتا تضم مئزرها إلى جسدها وكأنها تشير إلى أنها لا ترتدي سوى غلالة النوم. وحاولت أن يكون صوتها وقحاً قدر الإمكان. وتابعت:

ـ لقد كنت هنا مع دايڤد.. السيد غاريت... منذ أن عاد.

ـ أنتِ؟

ونظرت سامنتا إلى دايڤد وهي تمد يدها متوسلة:

ـ هذا أمر رهيب محرج يا دايڤد. لم أكن أتوقع أن يقتحم صديقك منزلك بعد منتصف الليل.

ونظر إلى أليكسندر يرمقه مسروراً:

ـ ولا أنا. اذهب إلى منزلك يا صديقي. ونم نوماً هنيئاً. وإن لم يهدأ بالك فاقصد منزل ماني التي سيسرها أن تقدم لك فنجان قهوة عند الرابعة صباحاً!

وهز أليكسندر رأسه، ثم قال:

ـ أنا آسف يا دايڤد.. لا أدري ماذا دهاني. ولكن عندما أكون بعيداً عن كارول أظن.. إنها جميلة وشابة، وأنا..

ـ لا حاجة لك للتوضيح..

تعاطف دايڤد كان ظاهراً وكأنه تفهمه، كذلك أظهر أليكسندر التفهم وهو ينظر إلى سامنتا نظرة بعثت الحرارة في جسدها:

ـ أنا آسف لازعاجك يا دايڤد، أتمنى أن تغفر لي.

وتمتم أليكسندر باعتذار آخر وغادر المنزل مسرعاً. وعاد دايڤد إلى غرفة الجلوس قائلاً وابتسامة تعلو فمه:

ـ المسرح يخسر ممثلة عظيمة يا سامنتا.

فأجابت ببرود:

ـ لقد أنقذ هذا جلدك.

كانت تشعر وكأنها أم أنقذت ابنها من خطر الموت.

ـ ربما كنت تجد الأمر مسلياً لو أن اسمك كتب بالخط العريض في الصحف؟

ـ وقد يرد ما حدث الآن في الصحف. فهل تعتقدين أن أليكسندر سيلتزم الصمت بعد أن شاهدك معي في مثل هذه الساعة من الليل؟

ـ وماذا تعني؟ أنا أعمل لديك.

ـ هذا صحيح.. خاصة وأنك في ثوب نوم مناسب.. أخشى أن يجد أليكسندر متعة في سرد سخافات بشأن هذه الحادثة الصغيرة.

ـ ولكنه لا يستطيع! ليس وله زوجة مثل...

ـ هي الآن أطهر من الثلج نفسه أما أنت فسيسره أن يظهرك بمظهر امرأة ذات سمعة حمراء.

ـ وهل سيصل الخبر إلى الصحف؟

ـ قد يصل.. لأن الصحافة تتبع أخباري... وأنا لا أعتقد أن ذكر الخبر في الصحف قد يحرجك كثيراً.

ـ أنا لا أفكر بنفسي إنما بوالدي.

ـ أنا آسف.. لقد نسيت تماماً عائلتك. ولكنني لم أطلب منك انقاذي، ثمة طريقة واحدة نوقف بها الاشاعات وهي التظاهر بأننا خطيبان.

ـ وهل ستطلب يدي؟

ـ مؤقتاً.

ورفعت رأسها بحدة. أن يطلب يدها أمر لم تتصوره قط، أما أن يتظاهر بالأمر فذلك ما ملأها غضباً وأخذت تبتلع ريقها بصعوبة

www.elromancia.com

سائلة:

ـ حتام ستستمر الخدعة؟

ـ وهل هذا يهم؟

ـ بالطبع... أتظن بأنني أريد أن أصبح خطيبتك؟

ـ قد يكون للأمر تعويضاته.

وأخذ ينظر إليها متفحصاً، فرفعت كتفيها لتمنع مئزرها من الانفراج. وقالت بسرعة:

ـ علي أن أشرح الأمر لروبن. وعليك أن تشرحه للسيدة ايڤان.

ـ الشرح ضروري. ولكنني أعتقد أنك موافقة من حيث المبدأ؟

فقالت له بمرارة:

ـ لو كان لديك أي مبدأ. لما كنا في هذه الورطة الآن.

فتثاءب قائلاً:

ـ نحن في فترة السَحَر ومع ذلك ما برح لسانك سليطاً. كم سيكون بائساً تعساً ذلك الذي سيتزوج امرأة لعينة مثلك.

وأسرعت سامنتا نحو الباب، فأوقفها صوته:

ـ إذا أعلنا خطوبتنا أمام الصحافة فهذا يعني أنك لن تبقي مدبرة منزلي.

ـ ولكنني...

ـ سأطلب من خالتي العيش معنا كمرافقة لك حتى لا تنتقلي إلى مكان آخر. أم تظنيني سأسمح لك بالذهاب إلى منزل والدك.

فهزت رأسها، وهي غاضبة من مداعبته هذه، ومع ذلك مسرورة بشكل غريب، أسرعت هاربة من الغرفة. وهي تخشى أن تنهمر دموعها إذا بقيت أمامه. أو أن ترمي نفسها بين ذراعيه. فها هي أخيراً مخطوبة للرجل الذي تحبه.. إلى أن يحين وقت اعترافه بحبه إلى امرأة أخرى.

١٣ ـ عليك أن تسافري!

تداولت الصحف خبر خطوبة دايڤد غاريت مدة تسعة أيام، فذكر بعضها أنها كانت مدبرة منزله وبعضها أشار إلى أنها طالبة جامعية وأنها ابنة البروفسور ويسلر. استاذ التاريخ المشهور.

وسر الليدي أشتون العيش معهما، ويظهر أن ابن اختها لم يبلغها أن خطبتهما مجرد ادعاء.

ـ لقد انتظرت طويلاً كي يتزوج دايڤد. وأنا سعيدة تماماً لأنه اختارك دون سواك.

ـ لم نتزوج بعد. وأنا مرتابة، ولا أحب التحدث عن المستقبل.

ـ لا داعي للارتياب ما دام خاتم دايڤد في إصبعك.

ـ لم أحصل على خاتم بعد. كل شيء تم فجأة وأظن أن دايڤد لم تجد الوقت بعد لشراء الخاتم.

ـ بما أن أنني أفهم ابن اختي جيداً، فأؤكد أنه قد اشترى الخاتم منذ أن فكر بالخطوبة.

واستدارت المرأتان لتشاهدا دايڤد يقترب منهما فقالت الخالة:

ـ لقد عدت باكراً.

ـ لدي اجتماع عمل هنا. وقد يستغرق معظم هذه الأمسية.

ونظر إلى سامنتا مبتسماً، فقالت الليدي اشتون:

ـ أشعر بأنني أقف في طريقكما.

www.alromancia.com

وخرجت متجاهلة احتجاج سامنتا فقال دايفد بعد أن أغلقت الباب:

ـ أنت لست ممثلة قديرة دائماً. فأقله تظاهري بأنك تودين الاختلاء بي.

ـ لست أدري سبباً يمنعك من قول الحقيقة لخالتك.

ـ كلما قلّ العارفون بحقيقة الأمر كلما ضمنا عدم معرفة أليكسندر الحقيقة.

ـ أتخاف أن يطلق النار عليك أم تصدق أن كارول ستبقى معه إلى الأبد.

ـ ستتركه كارول عندما...

ـ وهل ستتزوجها عندما تصبح حرة؟

ـ أيهمك حقاً مستقبلي أم الأمر فضول ليس إلا؟

ـ لا هذا ولا ذاك إذ لا تهمني أفعالك.

ووضع يده في جيبه ليخرج علبة فيها خاتم.

ـ هذا لك.

ورفعت غطاء العلبة متوقعة أن ترى خاتماً من الألماس وإذ بها تفاجأ بزمردة ضخمة، وأدخلت الخاتم في أصبعها:

ـ إنه جميل... جميل! ولكن بالتأكد ما كان يجب أن تشتري مثل هذا الخاتم النفيس؟

ـ إنه خاتم أمي... لقد صغرّته ليناسب إصبعك.

لم يستطع دايفد أن يتعشى معها ومع خالته لذا تناولت المرأتان عشاءهما في غرفة الطعام الصغيرة. ثم انتقلتا بعد ذلك لمشاهدة التلفزيون وحضرت سامنتا الحساء والسندويشات لتقدم إلى الرجال المجتمعين في المكتبة، وكان أحدهما المفتش الذي تعرفه. ومع أنها لم تعد مدبرة المنزل، إلا أنها رأت أن من السخف عدم

الاستمرارية بالإشراف على المنزل.

عند الساعة العاشرة ذهبت الليدي اشتون إلى غرفتها لتستريح أما سامنتا فلم تفعل ذلك لأنها متوترة الأعصاب ولأن دايفد ما زال مع ضيوفه في المكتبة، فكان إن بقيت في الطابق الأرضي. وعند منتصف الليل سمعت الباب الأمامي يقفل، ووقع خطوات دايفد تدنو من المصعد. لكنه توقف على ما يبدو عندما رأى النور في غرفة الطعام الصغيرة. وفتح الباب ودخل.

ـ لقد ظننت أنك أويت إلى الفراش.

ـ لست تعبة، إنما أنت المتعب. هل تريدني أن أحضر لك شيئاً؟

ـ لا شيء، لقد امتلأت معدتي بالقهوة والشاي، شكراً لك.

ـ من هم هؤلاء الرجال؟

ـ مجرد رجال.

ـ وماذا يريدون؟ هذه هي المرة الثانية التي يحضرون فيها إلى هنا هذا الأسبوع.

ـ وهل تسجلين ملاحظات عن كل من يزورني؟

ـ لقد لاحظت هذين الشخصين خاصة، أحدهما مفتش، أليس كذلك؟ ماذا تريد الشرطة منك يا دايفد؟

ـ أنت تكثرين من طرح الأسئلة. أوَ تتوقعين أن أجيب عنها؟

ـ ولماذا لا؟ أنت...

ـ أنت خطيبتي؟ هل كنت ستشاركينني مشاكلي لو كنت معدماً أم أنك كبنات جنسك يهمك الأمان والحصول على زوج ثري.

فأجابته وهي تنوي جرح مشاعره:

ـ ما كنت لأرغب فيك سواء كنت فقيراً أم غنياً! فكما تعرف روبن ليس مليونيراً.

www.elromancia.com

ـ هذا صحيح. ولكنه شخص محترم في الوسط الاجتماعي. والنساء يحببن الأثرياء والمشهورين. والأفضل عندهن أن يملك الرجل هاتين الميزتين وإن لم يكن فواحدة منهما تكفي.

ـ لِمَ تسخر من النساء دائماً؟

ـ أَوَ لم تخبرك خالتي؟ لقد خطبت امرأة منذ سنوات هجرتني من أجل رجل أغنى مني، لكنها أرادت أن تعيد المياه إلى مجاريها معي عندما وجدتني سأصبح من الأغنياء. ولسوء حظها كانت متزوجة فلم أجد عرضها مغرياً.

ـ اعتقدتك تفضلهن متزوجات؟

ومط جسده ثم تثاءب:

ـ اذهبي إلى النوم.. عمت مساء يا سامنتا.. نامي جيداً.

ـ حاضر يا سيد غاريت. : سيدي.

فصر أسنانه وقال:

ـ يوماً ما سوف...

كانت سامنتا في غرفة الجلوس في الصباح التالي عندما وصل جايمس بولدر زائراً، معتذراً عن عدم تحديد موعد معها. وقال إنه عندما قرأ خبر الخطوبة اعتقد بأنها قد ترغب في تغيير مخططات السيدة ايڤان، وأنه جلب معه قائمة الألوان فاستغلت هذه الفرصة لتنتقم من كارول. وبعناية غيرت معظم الألوان المنتقاة للديكور الداخلي. وثمة أشياء أساسية عجزت عن تغييرها وقال السيد بولدر معلقاً:

ـ يبدو أنك تريدين أن يبقى منزلاً ريفياً.

ـ إنه بالفعل منزل ريفي.

وبعد ساعتين غادر الرجل المنزل. معبراً عن سعادته بالتغييرات مؤكداً لسامنتا أنه سينفذ تعليماتها بكل دقة دون أي مشاكل. ولكن

سعادتها بالانتقام من كارول تلاشت عندما رأت كارول ذلك المساء.

فقد قرر دايڤد إقامة حفلة لتقديم خطيبته إلى أصدقائه، وكانت كارول وأليكسندر أول الواصلين وعندما صافحها أليكسندر اعتلت وجهه بسمة غريبة، جعلتها تتوق إلى صفعه لتزيلها عن وجهه.

ـ على ما يبدو أن دايڤد كان قد رتب الأمر سابقاً ولعل رؤيتي إياك معه تلك الليلة دفعه إلى اتخاذ القرار.

فردّت عليه ببرود قائلة:

ـ قولك هذا يدل على قلة الشهامة.

وسرّها أن رأت الخزي على وجهه. ولكن لم يظهر على كارول شيء من ذلك إذ سيطرت على نفسها تماماً، ولكن عندما تناولت سامنتا القهوة معها أظهرت كارول سوء خلقها وأدبها بل ووقاحتها أيضاً.

ـ أتمنى ألا تحسبي نفسك باقية هنا إلى الأبد؟ فلن تدوم خطوبتك ثانية بعد أن أترك أليكسندر.

ـ إذاً سارعي إلى ترك زوجك لأنني سأضاعف جهدي لأتم هذا الزواج سريعاً.

ـ لن يوافق أبداً.

ـ قد لا يكون أمامه خيار إذا هددت بافشاء الحقيقة. كم ستكون القصة رائعة: امرأة تهرب من منزل عشيقها خوفاً من زوج غيور وامرأة أخرى تنقذ سمعة الأولى!

واحمّر وجه كارول بالغضب:

ـ وماذا عن سمعتك؟ لا تنسي أن أليكسندر وجدك مع دايڤد في الساعات الأولى من الصباح. ولعل الناس سيشكون بصدق قصتك!

ـ قد يستأهل الأمر أن أخسر سمعتي في سبيل التشهير بك.

ـ لن تجروئي . . !

ـ لا تستفزيني لئلا أنفذ ما أريده .

واحمرّت وجنتا كارول دليلاً على هزيمتها، وبإشارة عدم اكتراث من كتفيها تحركت مبتعدة .

وتذكرت سامنتا واجباتها كمضيفة، وأخذت تنتقل من مجموعة إلى أخرى، مبتعدة قصداً عن كارول وأليكسندر .

عند الفجر انتهت الحفلة، وما إن اتجهت سامنتا نحو المصعد حتى وضع دايفد يده على ذراعها مستوقفاً .

ـ لقد كنت رائعة الليلة . لم أشاهد أبداً السير روبر ميردوك مسروراً هكذا من قبل . . عمَّ كنتما تتكلمان؟

ـ عن الطريقة التي أقحمت نفسي فيها في حياتك . . إذ أضحكته قصة تنكري .

وبدا على دايفد التوتر ثم القلق .

ـ أتضحكان علي . . صه؟

ـ لقد ظننت من الأفضل أن أقلب مسألة كوني مدبرة منزل إلى نكتة . إذ قد تكون النكتة أفضل من فضيحة يكثر الطباخون توابلها .

وتفهم دايفد النقطة فوراً .

ـ أنت على حق يا عزيزتي، وأعتذر لعدم ادراكي الأمر بنفسي . . لِمَ لا تسافرين لزيارة أهلك حيث يقضيان إجازتهما في البرتغال؟ أنا واثق بأنهما سيحبان قصة غرامنا منذ بدايتها .

ـ الأفضل أن لا أكذب عليهما، لو كنت تسمح .

ـ قولي لهما الحقيقة . . ولكنني أريدك أن تسافري في غضون أسبوع .

ـ ولماذا؟

ـ أنت تعرفين أنني لن أقول لك . . افعلي فقط ما آمرك به

واخرجي من البلاد .

وحاولت خلع الخاتم من إصبعها وهي تقول غاضبة :

ـ لا داعي للاستمرار بهذه التمثيلية بعد الآن .

قال وهو يضع يده فوق يدها، مرتجفة أصابعه :

ـ أرجوك! لديّ أسبابي . بالله عليك لا تجادليني . . احزمي حقائبك وسافري . وستتكلم عن فسخ خطوبتنا بعد عودتك وعندها لن يكون الأمر هاماً .

ـ ماذا تعني؟

ـ سأحجز لك تذكرة إلى لشبونة، وأنا آسف لأن الأمر صدمك ولكن . . .

وسار مبتعداً عنها، وصعدت إلى غرفتها حيرى من طلبه هذا . كان هناك شيء في تصرفاته يوحي بأنها لن تحصل على أية معلومات منه .

وودت لو تعصي أوامره أو تستجوبه مستنطقة ولكنها كانت تعلم أنه لن يخبرها شيئاً إذ يتوقع منها أن تطيعه دون نقاش ولو أنها خطيبة يحبها لاستطاعت التفوه بالأمر والتصدي له حتى تعرف الحقيقة . أما وهي لا تمثل شيئاً بالنسبة له فليس أمامها خيار آخر غير السفر .

●●●

١٤ ـ سأظل بانتظارك

الساعة السادسة من بعد ظهر اليوم التالي كانت سامنتا تحتضن والدها في مطار ليشبونة. وعيناها تترقرقان بالدموع وودت لو تخبره الحقيقة ولكن سعادة مادلين وتهنئتها بالخطوبة منعتاها من بوح الحقيقة.

وكان والدها قد استأجر ڤيلا صغيرة خارج «استوربل» أقل جمالاً من «الغارف» وقريبة من لشبونة وأعطيت سامنتا غرفة تواجه البحر الذي تتكسر أمواجه الأطلسية الضخمة على شاطىء لا يبعد سوى مئة يارد عن نافذتها. وقال لها والدها وهو ينضم إليها في الشرفة الملحقة بغرفة الجلوس:

ـ ستجدين الماء بارداً جداً للاستحمام.

ـ في حزيران؟

ـ حتى في آب، فحسب قول السكان المحليين إن المياه لا تدفأ أبداً لذا يستخدم معظم السياح برك السباحة.

ـ ومع ذلك سأجرب البحر.. إنه أكثر إنعاشاً.

ـ يبدو أنك بحاجة لبعض النشاط وكأنك كنت تتسكعين منذ خطوبتك؟

ـ ليس بالضبط، إقامة بضع حفلات لا أكثر.

ـ لقد حدث هذا فجأة.. أليس كذلك؟

ـ لقد أحببته منذ زمن بعيد.

ـ لقد خمنت هذا.. لقد شعرت أن هناك شيئاً بينكما يوم ذهبنا لزيارتك.

ـ لم يكن دايڤد قد أحبني يومها.

ـ لست واثقاً من هذا. لقد بدوت غريبة في ذلك الزي، ولكنه كان يشعر بك كشخص. إنه رجل لطيف يا سامنتا. إذا استطعت نسيان من هو، ستكونين سعيدة معه.

ـ أنسى من هو؟

ـ أي أن تنسي ثراءه.

وخرجت مادلين إلى الشرفة قائلة:

ـ يؤسفني عدم حضور دايڤد معك، ولعل السبب عمله والتزاماته.

ولم تكن سامنتا تصغي إلى الحديث كله إذ كانت تفكر بالأسباب التي من أجلها طلب منها مغادرة بريطانيا، وفوق ذلك كانت متيقنة من أن للأمر علاقة بالرجلين اللذين زاراه وقد بدا دايڤد حريصاً على جعل لقائه بهما سراً. عندما تبتعد عنه تجد نفسها قادرة على التفكير بجلاء أوضح، وهي الآن مقتنعة بأنه أرادها أن ترحل لئلا تعرف شيئاً ما. ولكن ما هو؟

صباح اليوم الرابع، تمكنت من الاسترخاء للمرة الأولى بحرارة الشمس وبنسيم البحر البارد. وخرجت لتتمشى في المنتزه ثم عادت إلى الڤيلا عبر شارع يكتظ بالمحلات.

لم تكن قد قرأت جريدة انكليزية منذ غادرت لندن، وعندما مرت قرب محل لبيع الصحف، دخلته لترى إذا كان بإمكانها شراء واحدة. وكانت على وشك مغادرة المحل عندما استوقفتها صورة لدايڤد وأليكسندر في إحدى الجرائد البرتغالية. وانحنت لتنظر

www.elromancia.com

إليها، محاولة أن تفهم العنوان العريض فوقها. وبما أنها لا تجيد البرتغالية لم تستطع فهم شيء. فسألت المرأة الواقفة خلف طاولة المحل:

ـ أرجوك.. أتستطيعين ترجمة ما تقوله الجريدة هنا.

وأشارت إلى حيث الصورة فالتقطت المرأة الجريدة مبتسمة وأخذت تقرأها بعناية، ثم قالت بانكليزية مكسرة:

ـ لقد انهارت مؤسسة أعمال كبيرة.. عن طريق.. ماذا تقولين.. فضيحة احتيال.

وانحنى رأسها من جديد فوق الجريدة. وتابعت:

ـ تقول الشرطة إنه سيقدم إلى المحاكمة.. لقد اكتشف الأمر... أليكسندر ايڤان. هذا الرجل.. محتال كبير.

ووجهت إصبعها إلى وجه دايڤد ثم تابعت:

ـ إنه محتال.. والسنيور ايڤان اكتشفه.. إنه فظيع..؟

فابتعدت سامنتا غير راغبة في العودة إلى الڤيلا ولكنها وصلت إليها دون أن تعي ما تفعل ولم تجد نفسها إلا وهي تحزم حقيبتها التي أفرغتها منذ أيام فقط.

أخيراً عرفت سبب رغبته في إبعادها عن لندن وسبب توتره الذي رافقه في الآونة الأخيرة وربما لذلك كان خائفاً من أن يكتشف أليكسندر حقيقة علاقته مع زوجته.

ولعل دايڤد كان يأمل بأن يضم شركته إلى شركة أليكسندر تجنباً للكارثة ومهما كانت الأسباب، فقد اكتشفت الحقيقة أخيراً، لقد أراد أن تبتعد عنه حتى لا ترى الانهيار العاجز عن ردعه. وأقفلت حقيبتها، ثم حملتها إلى الردهة، ووضعتها على الأرض عندما دخل والدها من الحديقة، وقالت:

ـ أنا عائدة إلى لندن. لقد حدث شيء لدايڤد.

ـ هل تلقيت خبراً عنه هل هو مريض؟

ـ ليس مريضاً، الأمر يتعلق بعمله.. ويجب أن أكون معه.

ـ ما الأمر يا سامنتا، تبدين كالشبح.. هل تريدين أن أعود معك؟

وملأت الدموع عينيها ولكنها هزت رأسها.

ـ كان لطفاً منك أن تعرض عليّ ذلك ولكن دايڤد لن يسر برؤية أحد الآن ومن الأفضل أن أعود وحدي.

ـ ولكنك لم تحجزي مكاناً في الطائرة.

ـ سأذهب إلى المطار وأستقل أول طائرة متوفرة. إنما أريد الآن سيارة أجرة.

ـ سأوصلك بنفسي.. لا تقلقي يا عزيزتي، لن أرهقك بالأسئلة، إذ يبدو أنك لا تريدين بحث الموضوع.

كانت رحلتها إلى لندن على متن طائرة برتغالية غير مريحة ولكنها كانت أقل ازعاجاً من أفكارها. ووصلت مطار هيثرو وهي مصابة بالدوار حتى أنها أثناء خروجها من الجمارك اصطدمت برجل يحمل كاميرا محدقاً إلى ما وراء سامنتا، ثم رأت عدة مصورين في باحة المطار فأسرعت هاربة خوفاً من أن تكون هي هدفهم، هل اكتشفوا أنها سافرت إلى البرتغال، وأنها عائدة الآن؟ لقد قال لها دايڤد إن الصحافة تلاحقه، وتذكرت تحذيره بأن لا تعطيهم أي تعليق.

وتنفست الصعداء بعد أن استقلت سيارة أجرة. غير راغبة في أن تعطي السائق عنوانها الحقيقي، لذا طلبت منه أن يوصلها إلى شارع قريب، قائلة إن شقتها تقع في الشارع الخلفي وهي لا تريد ازعاجه بالاستدارة حتى يصل إليها. ودفعت له الأجرة، ثم انتظرت إلى أن اختفى، وسارت متجهة نحو المنزل. وما إن أصبحت قريبة منه، حتى شاهدت جمهرة من الرجال يتجمعون أمام الدرج وكادت

www.elromancia.com

تستدير على عقبيها هاربة ولكنها خشيت أن تسترعي انتباههم. فتابعت سيرها بخطى ثابتة إلى المنعطف التالي الذي يوصلها إلى المدخل الخلفي. ودخلت إلى الكاراج، ثم إلى الباب الأخضر الذي يوصلهاإلى الفناء الداخلي. وتنهدت بارتياح عندما فتح الباب بلمسة منها. وأخذت تركض بعد أن أغلقت الباب وراءها، ثم قرعت باب المطبخ، وهي ترتجف مانعة دموعها من الانهمار ثم فتح الباب السيد موريس الذي بدا دهشاً:

ـ يا آنسة! لقد ظننتك في البرتغال.

ـ لقد عدت لأرى السيد غاريت.

ـ رحمتك يا رب! سيحتاج إليك. فعندما يتعلق الأمر بصديق يكون شديداً على النفس وقعه.

ـ السيد ايڤان لم يكن أبداً صديقاً للسيد غاريت.

قالت تلك الكلمات وهي تصرخ لكنها أخفضت صوتها حتى لا يسمعها أحدهم. فقال الفرنسي:

ـ ربما لم يكن صديقاً مقرباً، ولكنه صديق نسبياً وما فعله شيء فظيع فثمة أناس عديدون متورطون، مدموازيل. وقد خسر آلاف من المستثمرين مدخراتهم كلها.

ورمت سامنتا حقيبتها من يدها، وتجاوزته، لتصل بسرعة إلى دايڤد. وتوقفت في الردهة الرئيسية، جاهلة مكان وجوده. فأخذت تصيح:

ـ دايڤد؟ دايڤد؟

وركضت نحو المكتبة. فلم تجده، ثم أسرعت نحو غرفة الجلوس، فوجدتها فارغة أيضاً. وما إن عادت نحو الردهة حتى خرج جاكسون من المصعد.

وقال لها بهدوء:

ـ السيد غاريت في غرفة نومه.

وتمتمت شاكرة ثم أسرعت تصعد السلالم، فوصلت إلى الطابق الثاني مقطوعة الأنفاس لكنها دخلت غرفته بسرعة، لئلا يتملكها توتر يمنعها من الدخول.

كان مستلقياً فوق سريره، بثياب النوم، غير حليق، محمر الوجه، ولم تدر أكان السبب تعبه أم دهشته برؤيتها. وحدق إليها دون أن يتكلم، فتقدمت منه بجرأة مستغلة دهشته، قائلة:

ـ لا جدوى من بقائي في البرتغال. لقد ظننت أنني قد.. قد أكون أكثر فائدة لك هنا.

ـ وكيف ذلك؟ أبمحاولة تهدئة ضميري؟ ألديك فكرة كيف أشعر؟ وعما مررت به في الشهرين الماضيين؟

ـ أعلم أن الأمر شديد عليك. لماذا لم تخبرني يا دايڤد فلعلي كنت قادرة على تقديم المساعدة.

ـ وكيف؟ بأن تخففي الوطأة عن كاهلي طالبة مني ألا ألوم نفسي، ذاكرة أن ما فعلته كان الأصوب.

ـ لست أدري ما كنت سأقول حينها إذ لكل شأن أوانه.

ـ بالله عليكِ لِمَ أتيت؟ لتصفي قذارتي وخيانتي أم لأنك تتعاطفين مع كارول.

فصرخت به:

ـ لا تقل هذا! أنا لا أشفق أبداً على كارول.. انسها.

ـ ليتني أستطيع لقد أسقمتني تصرفاتها.

وبللت سامنتا شفتيها، لقد تخلت عنه كارول إذاً. وتمتمت:

ـ د... دايڤد.. أنا.. آسفة جداً. أنت تعلم أن امرأة مثلها لن تبقى معك بعد أن.. لا يمكن أن تكون أعمى إلى هذه الدرجة. أوَ لا تعرف نوعيتها؟

www.elromancia.com

ـ أعرف تماماً نوعيتها.

ـ ولكن هذا لم يمنعك من..

ـ لا.. لم يمنعني هذا من استغلالها.

وبدت لها كلماته غريبة، ولكنها لم تعبأ بها كثيراً، فغاية أملها الآن اقناعه بأنها قد عادت لتقف إلى جانبه مؤازرة إياه، مقدّمة له ما تستطيع من مساعدة مهما تكن تافهة.

ـ دعني أساعدك يا دايفد. لن أتظاهر أن بإمكاني نسيان آلاف الأشخاص الذين خسروا مدخراتهم بسببك... ولكنني واثقة بأنك لم تتعمد إفلاسهم. كنت طموحاً. وأردت النجاح بسرعة. ولكنك لست محتالاً.. لن أصدق هذا أبداً.. وإذا دخلت السجن، سأنتظرك.

ـ ماذا ستفعلين؟

وقفز من سريره وقد قتم وجهه والتمعت عيناه:

ـ سوف تنتظرينني؟

وعلمت أنها فضحت نفسها بقولها ذاك ولكنها لم تعد تعبأ بأي شيء الآن فلو استطاعت تقديم أقل نوع من السلوى لما امتنعت عن ذلك أبداً فهو أهم من فقدانها كبريائها.

ـ أجل يا دايفد... سأنتظرك.

ـ إلى أن أخرج من السجن؟

ـ نعم... وهل تظن بأنهم سيسجنونك؟ حتى لو بعت كل شيء، ودفعت قدر استطاعتك؟ أم أنهم سيأخذون كل شيء منك؟ يا إلهي أنا لا أفهم بهذه الأمور.

ـ من المؤكد أنك لا تفهمين، ولكن ما يبدو واضحاً أنك قد تيقنت من أنني سأصبح معدماً.

ـ لا يهم...! تستطيع أن تبدأ من جديد. تستطيع أن تهاجر

حيث تبدأ حياة جديدة في بلد آخر. إنما الأهم الآن عدم استسلامك للمصيبة أردت أن تبعدني قبل أن يفتضح أمرك. وهذا هو السخف أو الخطأ بعينه. أريد أن أبقى معك، أن أساعدك.

ـ من قال لك إنني سأسجن؟

ـ لقد قرأت هذا في الجريدة. على الأقل لم أقرأها بنفسي.. كانت جريدة برتغالية والبائعة ترجمتها لي.

وجلس دايفد على حافة السرير وهو يقول باستغراب:

ـ ترجمتها لك؟ أرجوك سامنتا، ابدأي منذ البداية، وقولي لي كيف اكتشفت أن امبراطوريتي قد انهارت.

ـ لقد شاهدت صورة لك مع أليكسندر ايڤان.

وأكملت سرد القصة حتى نهايتها ثم أردفت قائلة:

ـ لذا عدت. كنت واثقة بأن كارول لن تقف إلى جانبك. أستطيع أن أقتل أليكسندر لما فعله بك!

ـ أظن أن من الأصوب القول إن أليكسندر يود قتلي لما فعلته أنا به.

كان في كلامه رنة غريبة، فيها ابتهاج ممزوج بقلق، جعلتها تتساءل: هل أثّرت به الصدمة إلى درجة الهوس أو الحزن؟ وكأنما أدرك تساؤلها، فرفع إليها يده ثم جذبها لتقعد قريبة منه.

ـ أخبريني ثانية، لماذا عدت؟

ـ لأكون معك.. لأعلمك أنني.. أنني سأنتظرك.

ـ وماذا ستفعلين إن لم يبق لديّ شيء؟

ـ سأتخرج قريباً ثم أدرس في الجامعة. وأنا مدبرة منزل جيدة أيضاً.

ـ ربما أستطيع أن أعمل كخادم عندما أخرج من السجن.

فصرخت به:

www.elromancia.com

ـ لا تمزح!

وأدارت كتفيها وأجهشت بالبكاء. ووضع دايفد ذراعيه حولها وجذبها إليه، وبدأ يمسح شعرها بيد مرتجفة قائلاً بحنان:

ـ أنت حمقاء. أيتها الحمقاء الصغيرة السخيفة!

ـ أعلم أنني هكذا، ولكنني لا أستطيع منع نفسي. أعلم أنك لا تحبني، ولكنني سوف..

فقاطعها:

ـ ولكنني أحبك.. أحبك كثيراً إلى حد كاد يدفعني إلى خنقك لأنك لم تعرفي ما أكنه لك من حب كبير.

وتوقف نحبيها بفعل ساحر. وأخذت تنظر إليه من خلال دموعها.

ـ أنت تختلق هذا الكلام!

ـ إذاً تعتبرينني كذاباً إضافة إلى كوني محتال؟

وتدفقت دموعها من جديد، فهزها بلطف، قائلاً بغضب:

ـ سامنتا لا تبكي. ألا تلاحظين أنني أغيظك مداعباً؟

ـ وكيف يمكنك أن تغيظني في وقت كهذا؟

ـ لأنه الوقت الملائم. فها أنا اليوم أكره نفسي، تجتاحني عقدة الذنب وإذ بك تدخلين جاعلة للحياة طعماً جديداً ولوناً آخر فأجدني أرى العيش حلواً بعد أن كان مراً.

ـ وهل فعلت أنا هذا؟

ـ بالطبع! امسحي عينيك وانصتي إلى قولي. لست أدري ما إذا كانت الصحف البرتغالية قد نشرت القصة مقلوبة أم أن من ترجمتها لك كانت تقف على رأسها عندما قرأتها. ولكن أليكسندر هو الذي اعتقل بسبب الاحتيال، وليس أنا لأنني أنا من اكتشف أمره.

فشهقت قائلة: «أنت؟»

ـ أجل.. كنا نبحث عملية الاندماج. كما تعرفين وعندما بدأت

بدراسة دفاتره تبين لي أنه قد خدع أناساً كثيرين غير عابىء بأمرهم أو مكترث بشؤونهم وبما أنني كنت أعقل ممن تعامل معهم من قبل. أدركت ما كان يجري، فإذا بي أمام خيارين فإما أن أوقف المباحثات معه وأتركه يتابع بناء أمبراطورية أكبر وأكبر على أساس الغش والخداع، وإما أن آخذ معلوماتي إلى مدير المدعين العامين. ولم يكن قراراً سهلاً. لأنني عرفت أليكسندر منذ سنوات، كما أنني أكره تدمير الآخرين وإن كرهت أفعالهم.

ففكرت بكارول فجأة. دون أن تسأل لكن تعبيرات وجهها فضحت أفكارها، لأن دايفد هزها ثانية وقال:

ـ كانت كارول تعرف منذ سنوات ما يفعله أليكسندر، وكانت تعرف أنها مسألة وقت قبل أن يفتضح، لذا عرضت علي أن تعطيني معلومات إضافية عن بعض صفقاته.

ـ ألأنها تحبك؟

ـ بل لأنها كانت شريكته في كل أعماله رغم ادعائها بأنها بريئة ولكنني متيقن من أنها كانت تعلم كل شيء. وستوفر شهادتها على الجميع الوقت والجهد، مضيفة بضع سنوات على الحكم الذي سيصدر عليه. ولكن هذا لن يقلقها أبداً.

ـ لهذا إذاً لم تكن تريده أن يعرف أنها تراك؟

ـ عندما يكتشف أمره سيعرف أنني وراء الأمر، وسيشك في أنها قد لعبت لعبة قذرة.

ـ كما فعلت تماماً!

ـ صحيح.. فعندما عرفت أن السفينة ستغرق به وعلمت أنها لن تستطيع أن تسبح بسرعة لتنجو من الغرق أيضاً.

ـ وهل هي الآن تسبح باتجاهك؟

وحاول دايفد أن يبدو معتدلاً في لهجته ولكنه فشل:

www.elromancia.com

ـ أعتقد أن هذا الأمر غايتها لكنني أوضحت لها بجلاء أنني لست في متناول يدها.

وتنفست سامنتا الصعداء:

ـ لقد أخبرتني أنكما تحبان بعضكما.

ـ كانت ترغب في أن تظن هذا. وكانت تريد إبعادنا عن بعضنا بعضاً ليتسنى لها فرصة الاستيلاء علي.

ـ لقد كانت قريبة من النجاح. ولو لم أسيء فهم القصة من الجريدة البرتغالية، لما عدت إليك.

فاحتج دايڤد:

ـ تتكلمين وكأنه لا رأي خاص لي بهذا الصدد.

ـ لست واثقة بأن الرجل له رأي خاص أمام امرأة مصممة.

ـ امرأة.. مثلك؟

ـ مثلي..

والتفت يداها على عنقه ثم عانقته قائلة:

ـ ومتى وقعت في حبي؟

ـ لست واثقاً.. لقد أحسست بك عندما بدأت تواجهينني متصدية لي ثم عندما ارتديت الثوب الرمادي الذي اشتريته لك، وبدوت كالشبح فيه، بدأت أشعر بالحنان تجاهك حتى كانت زيارة والدك المفاجئة التي أطلقت القطة من مخبئها أو المرأة الجميلة من ثوب تنكرها.

ـ كنت غاضباً مني.

ـ وشعرت بالغيرة أيضاً بسبب روبن ذاك الذي استخدمته لازعاجي.

ـ وأنت استخدمت كارول!

ـ أراهن أنها لم تسبب لك ليالي أرقة كما سببها روبن لي؟

وسوف أجعلك تدفعين ثمن كل ليلة منها.

ـ كيف؟

ـ بأن أبقيك ساهرة ليالي مماثلة وهذا ما سيكون حالك خلال شهر العسل.

ـ وبعد ذلك؟

ـ لست دايڤد إن لم أخترع شيئاً.

ومد ذراعه إليها فأحاطها بكل حنان ثم حركها بلطف وإصرار وفي عينيه وعد بالعاطفة المقبلة، فهمست:

ـ حبيبي دايڤد، حلمت دائماً أنني سأتزوج مخترعاً.

●●●

www.elromancia.com روايـــة